أغنياء... ولكن

تأليف

أ/ السيد محمد

(أبا عبد الرحمن)

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩



أغنياء ولكن

بقلم

أبى عبد الرحمن السيد محمد

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ ـ ٥٤٤٦٤٩٦

دار الإيمان - إسكندرية
الطبعة الأولى

رقم الإيداع ١٣٤٨٣ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى

977 - 331 - 047 - 7

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦


بسم الله
الرحمن
الرحيم



المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينهُ ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله العليّ العظيم من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، نشهد يا ربنا أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح لهذه الأمة ، وكشف عنها الغُمة .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى الأمى عدد ما أحاط به عملك وخط به قلمُك وأحصاه كتابُك ، وارض اللهم عن سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فى البداية أيها الأحبة فى الله ، أدعو الله عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كل من قرأه ، إنه على ما يشاء قدير .

سألت نفسي يا أحبه قبل الشروع فى كتابة هذا الكتاب عن الدافع الحقيقى من وراء هذا ، فوجدت بداخلى ألماً قد هز كيانى كُله لما رأيته من الحال الذى وصل إليه فئةٌ كبيرة من الذين أنعم الله عز وجل عليهم بوفرة المال

والغنى ، رأيت أن كل واحد منهم راح يفكر ليلاً نهاراً ، سراً جهاراً ، فى الدرهم والدينار ، والريال والدولار .

أصبح وشغله الشاغل كيف يُنمّى ما عنده بكل الطرق والوسائل ، ضارباً بقوانين الله عز وجل عرض الحائط ، فإذا وصل إلى ما تمنى نراه مشغولاً بهذا المال وكيفية الحافظ عليه .

إذن : فحياته كلها صراع من أجل المادة .

فى البداية كان يفكر فى تنمية هذا المال ، وفى النهاية يُفكر فى كيفية الحفاظ عليه ، لذلك فإنى أشفقت على هذا المسكين ، فكان لابد من وقفة مع النفس أيضاً كان لابد من تذكرة من منطلق قول المولى جل وعلا : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [الذاريات : ٥٥ - ٥٨] .

كما أُشهد المولى عز وجل قبل أن أدخُل فى تفاصيل هذا الموضوع أن هذا ليس حقداً ولا حسداً لأحد ولكن نصيحة ومحبة وأخوة فى الله عز وجل .

إننا مسلمون فكان لزاماً علينا كأغنياء أن نتأسى بالنبى ﷺ وصحبه الكرام فى تعاملاتهم مع الناس وموقفهم الصريح من المادة ، لأن النبى ﷺ هو القدوة والأسوة ، قال عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

إذن فنحن مسلمون قبل أن نكون أغنياء وديننا تكافل وإيثار ومحبة وإحساس بالفقراء والمساكين .

يا أحباب رسول الله : إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن لما نراه من حال

الأغنياء والأثرياء ، ألماً وحزناً على الأغنياء وأيضاً ألماً وحزناً وشفقة على الفقراء من المسلمين حزناً على الأغنياء لأن هناك شقاءاً ينتظرهم فى الحياة وبعد الممات لأنهم أساءوا التصرف فى المادة .

وحزناً على الفقراء من المسلمين لأن إخوانهم من الأغنياء قد غفلوا عنهم وراح كل واحدٍ منهم يبحث عن المتع والشهوات صباح مساء ، حاملاً شعار نفسى ، نفسى ، ولا غير إلا نفسى ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

إذن كان لابد من صرخة فى وجه هؤلاء الأثرياء الذين نسوْا بل تناسوْا أنهم بشر مثل باقى البشر ، ما خُلقوا إلا من أجل الطاعة والعبادة وأداء فرائض الله عز وجل ، ودعم ونصرة دعوة الله عز وجل ، والإحساس بعامة المسلمين .

لذلك كان لزاماً عليهم عدم الإنغماس فى الشهوات والملذات ، وأن يعلموا أن لله عز وجل حقوقاً كثيرة من أهمها أنه الخالق والبارئ والمصور ، قال عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢** ﴾ [الانفطار : ٦ - ١٢] .

إذن فنعم الله تبارك وتعالى لا تحصى ولا تعد ، فكان لزاماً وأن يقابل كل هذه النعم حمد وشكر لله عز وجل ، وأيضاً لابد وأن يقابلها واجبات نحو الإسلام والمسلمين .

وقبل أن نقوم بعرض هذا الموضوع نريد أن نوضح أن هناك فئة من الذين أنعم الله عليهم بنعمة المال والغنى يخافون الله عز وجل ولم يفتنوا بالمال والملذات وعلموا أن المسلمين كلهم جسدٍ واحد ، نبضٍ واحد ، هدفهم واحد ، هذه الفئة تسعد بسعادة المسلمين وتتألم بآلام المسلمين ، لذلك كان لزاماً علينا

أن نُعطى كل ذى حقٍ حقه ، فنحن ندعو لهؤلاء بالتوفيق والثبات وأن يزيدهم الله من فضله ، ونرجوا منهم المزيد لأنه كما نعلم ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] .

فكتابى هذا سوف أتحدث فيه عن الإيثار والمواساة بالمال والشعور بعامة المسلمين ، وعن الزهد فى هذه الدنيا الفانية ، والشهوات الزائلة ، وأيضاً عن ذم البخل وفضل الكرم ، وتجنب الحرام ، وأن فى الحلال بركة ، وعن عدم الاغترار بالمال والغنى وعن مواضيع أخرى تتعلق بالأثرياء والأغنياء .

كما أننى سوف أتحدث عن واقع ملموس نعيش فيه حول هذا الموضوع ، ولن أتحدث عن قصص وحكايات لأنها موجودة فى كثير من الكتب القيمة .

أدعو الله عز وجل ، أن يُخرجنا من هذه الدنيا على خير ، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، وأن يجعلنا دائماً عوناً وسنداً لإخواننا المسلمين ، وأن يؤلّف بين قلوبنا وأن ينزع الشحناء والبغضاء من بيننا ، وأن يجمع بيننا على الخير دائماً ، وأن يتقبل منا هذا العمل ، وأن ينفع به المسلمين ، إنه على ما يشاء قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

أ - السيد محمد

[أبا عبد الرحمن]

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

يا غنيّ لا تغتر

قال الله عز وجل : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** (٨٣) ﴾ [القصص : ٨٣] .

اعلم يرحمك الله أن الدنيا يومان ، يوم لك ، ويوم عليك ، وأن دوام الحال من المُحال وسُبحان من له الدوام ، الذى يُغير ولا يتغير ، فكم من أُناس كانوا يملكون الملايين ودارت عليهم الأيام وكانت لها كلمة أخرى ، فأصبحوا الآن لا يملكون شيئاً لأنهم قد اغتروا وتجبروا وعتّوا عتواً كبيراً ، وظنوا أن هذا المال هو الحصن الحصين وهو الحماية من نوائب ونكبات الدهر ، لكن خابوا وخسروا ، قال ﷺ فى الحديث : « **حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه** » .

يا صاحب المال لا تغتر فتندم .

يا صاحب المال ستموت وتترك .

يا صاحب المال أنفق ولا تبخل .

يا صاحب المال أفيق ولا تغفل .

يا صاحب المال احذر ، احذر .

يا صاحب المال لا تغتر بمالك وتتكبر على خلق الله فتهلك .

نعم يا أحبة ، إذا ما نصحت وذكّرت واحداً من هؤلاء بالله عز وجل وقمت بتوجيه النُصح له وجدت إعراضاً وصداً وعناداً لأى نُصح ، وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه العزيز : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** (٣٥) ﴾ [الصافات : ٣٥] .

فإياك وأن يكون المال سبباً فى تكبرك وبطشك بالعباد ، واعلم علم اليقين أنه لو دامت الدنيا لغيرك ما وصلت إليك .

اسأل نفسك أين أغنياء القرن الماضى وقبل الماضى ، أين من كانوا يظنون أنهم بشر غير سائر البشر ؟ ، أين من كانوا يسكُنون القصور وينامون على الحرير ؟ ، أين من كانوا يحبون تسخير العباد واستعبادهم ؟ ، أين من كانوا يحبون أن تقدم إليهم التعظيمات والتحيات ، وكانوا يتلذذون بذل العباد ؟ ، أين من كانوا يسعْون وراء الألقاب ونيل أرفع الدرجات والأماكن ؟ ، إنهم الآن فى عداد الموتى ، فما أغنى عنهم مالهم من عذاب الله عز وجل .

لابد وأن تعلم يا كل غني أن الله عز وجل سخرك أنت ومالك لخدمة العباد والعمل على قضاء حوائجهم ، وإدخال البسمة والسرور عليهم ، فهذا شرف عظيم لك ، لأن الله عز وجل قد اختارك لخدمة هؤلاء وأنه قد اصطفاك من بين الناس لكى تكون سبباً فى إسعاد كثير من الناس ، فهذا خير لك ، فهل يعقل أن تقابل هذا الخير بالتكبر واحتقار خلق الله ؟!! .

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله أوصى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد** » .

فينبغى عليك أن تتواضع للناس ، وأن تكون هيناً ليناً وأن تقتدى برسول الله ﷺ ، أقصد بالتواضع أن تتواضع فى كل شيء فى تعاملاتك مع الناس فى جميع سلوكياتك حتى مع نفسك .

يروى أن رجلاً أخذ يمشي ويتبختر في مشيته فقال له رجلاً آخر أما تعلم أن هذه المشية يبغضها الله ورسوله فقال له الأول : أما تعرفنى ، قال الثانى : بلى أعرفك ، إن أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت تحمل فيما بين

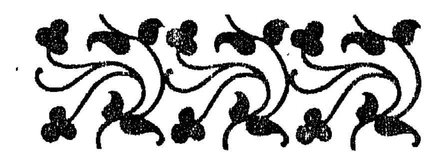
ذلك العذرة ، فينبغي على كل إنسان أن لا ينسى نفسه لأن بدايته كانت نطفة لا تُذكر وآخره جيفة عفنه وكان فى الدنيا يحمل بداخله العذره .

ولا تغتر عندما يزداد مالك وينمو لأنه إذا كثير المال عظُم السؤال والمحاسبة من قبل الله عز وجل ، ولا بد عند كل زيادة أن يقابلها تواضع وخشوع وشكر لله عز وجل .

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله فقال : « **إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها** » .

إذن لا تسعد بكثرة المال فقد يكون سبباً فى هلاكك وعذابك يوم القيامة ، وينبغى عليك أن تنفق من هذا المال وأنت فرح مسرور عن طيب خاطر ولا تردُ أى سائل ، عن جابر رضي الله عنه قال : « **ما سُئل رسول الله ﷺ شيئاً قط وقال لا** » .

وبقيت كلمة أخيرة فى هذا الموضوع وهى : كم من أغنياء يملكون الملايين من الأموال ولكنهم قد اكتفْوا بالنظر إليها والحرمان منها لأنهم قد أصيبوا بالأمراض والأوجاع التى كانت سداً منيعاً بينهم وبين أموالهم ، فقد حالت هذه الأسقام بينهم وبين أموالهم ، تراهم لا يستطيعون التلذذ والتمتع بها ، فاحترس ولا تغتر كى لا يصيبك ما أصابهم .



الإيثار والشعور بالفقراء

معنى الإيثار يا أحبة : أن توثر أخيك المسلم عليك ، أى تفضله على نفسك ، فلو كان هذا هو سلوك الأغنياء والأثرياء نحو إخوانهم الفقراء لأصبح هذا المجتمع بحق مجتمعاً مثالياً مترابطاً ، خالياً من أى شحناء ومن أى صراعات قد تؤدى فى بعض الأحيان إلى انهيار هذا المجتمع .

كما أريد أن أوضح أيضاً أن الأغنياء لو نظروا إلى إخوانهم الفقراء بعين الرأفة لساد هذا المجتمع محبة ما بعدها محبة ، فسوف نرى أن أى فقير يتمنى أن يرى أخيه الغنى فى أسعد حال وفى خير دائماً ، وتراه أيضاً يدعوا له بالتوفيق والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وأن يكون عوناً وسنداً لكل محتاج ، يدعوا للغنى . لأن الخير سوف يشمل الغنى والفقير على السواء .

أما إذا كان هناك شُح وبُخل نرى صراعات وشحناء تؤدى إلى كراهية بعض الفقراء إلى بعض الأغنياء .

كما أننا نرى فى هذا العصر يا أحبة مظاهر إسراف وتبذير ليس لها أى داعى من بعض الأثرياء وعلى الجانب الآخر نرى أن كثيراً من الفقراء لا يملكون قوت يومهم .

طبعاً الإيثار من جانب الأغنياء نحو الفقراء أصبح فى هذا الزمان شيء غير مألوف وغير مرغوب فيه من جانب كثير من الأغنياء لأن النفس البشرية تميل دائماً إلى الشُح والبخل ؛ فإن أراد أى إنسان أن يربى نفسه ، فعليه أن يخالف هواها .

إننى لم أطالب غنى من الأغنياء مثلاً : أن يتبرع بسيارته التى اشتراها

لنفسه إلى فقير من الفقراء بنية أن يؤثره على نفسه ، ولكننى أطالب بتقديم يد العون فى أشياء أساسية كثيرة مثل : المأكل والمشرب والمسكن والملبس وغيرها من ضروريات ، الإنسان بالطبع فى حاجة إليها .

فبالله عليكم هل يجوز أن ينام الرجل منا شبعان ممتلأة بطنة من الشبع وأخيه المسلم جائع يُكمل عشاه نوماً كما يقول البعض منا ، وهل يجوز لأصحاب الأموال أن ينفقون الأموال الباهظة على الملابس ونراهم يسعوْن سعياً حسيساً وراء دنيا الأناقة ودنيا الموضة ، ويشغلون أنفسهم بسفاسف الأمور والهرولة وراء موضة الربيع وموضة الخريف ، ونرى أن بعضهم ينفق أموالاً على الملبس فى المرة الواحدة تكفى مأكل وملبس فقير لأكثر من عام كامل!! ، بالله عليكم أخبرونى أين التعاطف والتكافل والتراحم الذى تعلمناه من الإسلام .

وأين نحن من قول النبى ﷺ : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمىْ** » .

فهل كل الأغنياء فهموا وأدركوا معنى هذا الحديث أن أى مسلم مهما اختلفت لغته ومهما اختلفت جنسيته ، ومهما اختلف لونه فهو أخي ، وجب عليّ كفالته ومساندته وأنه إذا اشتكى أى ألماً أحسست به وتألمت له .

ولماذا يا أحبه لا يكون الأغنياء اليد الحنونة التى تمسح أى دمعة سالت من وجه محتاج ، مصداقاً لقول المولى عز وجل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

يا من أنعم الله عز وجل عليكم بالمال والغنى ، إن لم يكن هناك إيثار فنظرة بسيطة لإخوانكم ، وأن تضعوا نصبُ أعينكم أن هذا واجب عليكم لأنكم

سوف تُسألون عن هذا كله يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم ، وأن تتذكروا دائماً حديث النبى ﷺ : « **أن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه** » .

كما أريد أن أوضح أنه مهما فعل الإنسان من خيرات تلو خيرات وأنفق من مال الله الذى أتاه فهو لنفسه أولاً قبل أن يكون لغيره ، لأن المولى عز وجل يقول فى سورة المزمل : ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا** ﴾ [المزمل : ٢٠] .

انظر يرحمك الله ما تقدمه لنفسك من أى خير فهو لك ، وسوف يعود عليك بالخير والأجر العظيم عند المولى عز وجل .

إذن فلا داعي للهروب من واجبك نحو إخوانك المسلمين ، لأن هذا خير لك قبل غيرك ، وواجب عليك أيضاً ، كما أن الشعور بالفقراء والمحتاجين وأن تحب أن يكون لهم مثل ما يكون لك من تمام الإيمان ، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فى الحديث : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه** » ، فليكن هذا الحديث أيها الأحبة فى الله بمثابة معيار لنا يمكن عن طريقة أن تحدد درجة إيمانك .

كما أن موضوع الإيثار والمواساة بالمال من أسمى الأخلاق التى لابد وأن يتسم بها كل مسلم آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً .

كما أن المولى عز وجل قد مدح هذه الفئة من الناس ، قال جل وعلا فى سورة الحشر : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)** ﴾ [الحشر : ٩] .

وكما أوضحت من قبل أيها الأحبة فى الله ، أن أى إنسان يفعل الخيرات فلنفسه أولاً مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الجاثية : ١٥] .

لابد أيضاً أيها الأحبة أن لا نُحقر من المعروف شيئاً وأن يُنفق الذى يملك على الذى لا يملك بقدر الاستطاعة وفى حدود الإمكانيات المتاحة وأن يحتسب هذا عند الله عز وجل عسى أن يكون هذا سبباً فى نجاته يوم القيامة حتى ولو كان قليل ، يقول النبى ﷺ فى الحديث : « **اتقوا النار ولو بشق تمره** » .

كما أن المولى عز وجل أمرنا بفعل الخير لعله سوف يكون سبباً فى فلاحنا يوم القيامة ، قال عز وجل فى سورة الحج : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] ، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن من كان فى حاجة أخيه المسلم فى الدنيا كان الله عز وجل فى حاجته ومن فرج أى كربة من كرب الدنيا على أخيه المسلم فرج الله عليه كربة من كرب يوم القيامة ، وأن من ستر مسلماً فى الدنيا سوف يستره الله عز وجل يوم القيامة ، ومن يأوى مسلماً فى الدنيا سوف يحميه الله عز وجل يوم القيامة .

قال ﷺ فى الحديث : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلُمُه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة** » .

ثم لابد من سؤال ما مصير المتع والشهوات والملذات ؟ ، الإجابة يا أحبة : إلى الزوال لأن الدنيا بكل ما عليها مصيرها إلى الزوال والعدم .

قال ﷺ فى الحديث : « **يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ فى النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ ، هل**

مر بك نعيماً قط ، فيقول : لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة فى الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مربك شدة قط ؟ ، فيقول : لا والله ، ما مر بى بؤساً قط ، ولا رأيت شدة قط » .

سبحان الله ، أين من كان يأكل أحسن الطعام ويشرب أحسن الشراب ويرتدى أجمل الثياب ، ويركب أروع السيارات .

أين من غفل عن الفقراء والمحتاجين وعاش لنفسه فقط ؟ ، أين علية القوم الذين كانوا يتنزهون هنا وهناك فى بلاد المعاصى والآثام وقد غفلوا عن إخوانهم المسلمين ، لقد عاشوا طوال حياتهم يتنعمون ويتلذذون فى الشهوات والملذات والمحرمات سنين طويلة ولكن ياحسرة عليهم ، لأن الصادق المصدوق ﷺ بشرهم أن غمسة واحدة فى نار جهنم سوف تنسيهم كل هذا ، عندما يسأل الواحد منهم بالله عليك هل مر بك خيراً ونعيماً قط فيرد بكل حسرة وندم : لا والله ما مر بى خيراً ولا نعيماً قط .

ويأتى على الجانب الآخر يا أحبة هؤلاء الذين عاشوا طول حياتهم ، وهم لا يملكون إلا قوت يومهم وقد كانوا يجوعون يوماً ويشبعون يوماً ، وكانوا يقنعون بقسمة الله عز وجل وعطيته وكانوا يحتسبون كل هذا عند المولى عز وجل ، ولكنهم علموا أن الغاية الأساسية من وجودهم فى هذا الكون هى طاعة الله عز وجل فهنيئاً لكل هؤلاء .

سوف يأتى الواحد منهم يوم القيامة ويغمس غمسة واحدة فى الجنة ثم يخرج ويسأل هل مر بك بؤساً وشقاءاً وألماً وهمّاً فى الدنيا قط ، فيرد بكل سعادة وسرور يقول : لا والله ما مر بى بؤساً ولا شقاءاً فى الدنيا قط .

احترس من المال

أيها الأحبة فى الله – الحذر – الحذر من المال والانشغال به إنه كان فيمن قبلكم أُناس انشغلوا بالمال وحرصوا عليه ، تمتعوا به قليلاً وخسروا وندموا بعده كثيراً .

هم الآن فى عداد الموتى وأصبحوا نسياً منسياً ، أصبحت ديارهم خراباً ، وملكهم سراباً ، وسوف ينتظرهم عذاباً ، كانوا يملكون الكثير من الأموال والديار ، ولكن أين هذا الآن ، قال المولى عز وجل فى سورة النحل : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦].

فإياكم من فتنة المال والانشغال به ، فآيات الله عز وجل كثيرة التى حذرتنا من المال وفتنته أذكر منها قول المولى عز وجل فى سورة الأنفال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ [الأنفال : ٢٨] ، لقد أطلق على المال تعبيرات كثيرة منها أن المال هو النافع الضار .

نعم أيها الأحبة لو تم استخدام المال فى أوجه الخير الكثيرة وكان وعوناً للعبد على طاعة الله عز وجل ، فهو المال النافع إذن ، وأما إذا استخدم المال فى الشهوات التى تؤدى إلى ارتكاب المعاصى والآثام واستخدم فى إفساد الناس وإعراضهم عن دينهم فهو المال الضار إذن .

فالمال آلة يتحكم فيها الإنسان بإمكانه أن يوجهها إلى الخير وبإمكانه أيضاً أن يوجهها للشر والعياذ بالله .

فأنت الذى تستخدم المال وتتحكم فيه ولا تكن كالذين غضب الله عليهم وتحكّم المال فيهم وأصبحوا عُبّاداً للمادة وتعلقت قلوبهم بالمال كتعلق الإنسان

بالماء والهواء ، كما أن الزهد فى طلب المال يريح القلب والبدن وأن الرغبة فيه تُكثر الهم والحزن .

فكثيراً ما نسمع عن مآسى يُعانى منها بعض أصحاب الملايين من أمراض نفسيه وعصبية وهموم ومشاكل كثيرة يعانون منها رغم ما لديهم من ملايين ، فهل الأموال دفعت عنهم كل هذا ، وكثيراً ما نسمع أيضاً عن أناس لا يملكون إلا القليل ، ولكن نرى الوضع يختلف تماماً نرى سعادة وراحة ورضا بقضاء الله عز وجل وقدره .

وصدق الحسن حين قال : « ما أعز الدرهم أحداً إلا ذله » ، وقال ﷺ : **« من أصبح وهمه الدنيا - شتت الله عليه أمره - وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ، ومن أصبح وهمه الآخرة ، جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة »** .

فمهما تمتع الإنسان بالمال ، فهذا المتاع قليل ، وغير دائم ، قال عز وجل فى سورة النساء : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النساء : ٧٧] ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال فى الحديث : **« ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع »** .

سبحان الله لو كل إنسان وضع هذا الحديث أمامه لزهد فى المال وجميع المتع والشهوات لأنها لا تمثل أى شيء كالذى يضع أصبعه فى اليم هل يخرج بشيء .

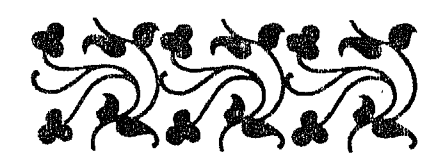
وينبغى علينا أن لا نُقصر فى أداء الفرائض والطاعات تحت حجة ومبرر أننا نسعى من أجل كسب الأموال ، فلا بارك الله فى أموال كانت سبباً فى ضياع

الفرائض ، ولا بارك الله فى عمل كان سبباً فى معصية الله عز وجل .

قال عز وجل فى سورة المنافقون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ (1) [المنافقون : ٩ - ١١] .

وينبغى علينا أيضاً يا أحبة أن نُطيع الله عز وجل ، وأن نؤدى حقه فى أموالنا ، لأنه سوف يأتى هذا المال متحدثاً يوم القيامة فمن أدى حق الله فسوف ينجو ويربح ويفوز يوم القيامة ، ومن لم يؤدى حق الله عز وجل فسوف ويدعوا عليه ماله بالويل والثبور والهلاك .

عندما كتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما ، وقال له : يا أخى إياك أن تجمع بين الدنيا ما لا تؤدى شكره فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُجاء بصاحب الدنيا - الذى أطاع الله فيها - وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امضى فقد أديت - حق الله فيَّ - ثم يُجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط ، قال له ماله ويلك - ألا أديت حق الله فيَّ - فما يزال يدعوا عليه بالويل والثبور » ، فاللهم إنّا نعوذ بك من مالٍ يدعوا علينا بالويل والثبور .



فوائد المال

أيها الأحبة في الله :

إذا تم استغلال المال استغلالاً شرعياً صحيحاً ، لا شك أنه سوف يكون له فوائد عظية ، هذه الفوائد تعود بالنفع والفائدة على الفرد والمجتمع فى الدنيا والآخرة على السواء ، فلو تم العمل بقول الله عز وجل : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] ، سوف نرى مجتمعاً راقياً متقدماً بكل المقاييس ينعكس هذا التقدم فى شتى المجالات ، وأعتقد أيها الأحبة فى الله أن من أسباب تخلف الشعوب والأمم والجماعات هو عدم الحرص على تقديم الخير والمنفعة للغير ، وأن كل واحد منهم راح يبحث عن ذاته ولا غير إلا ذاته .

لذلك فإننا نستطيع أن نقول أن للمال فؤاد تتعلق بأمور الدنيا وفؤاد أخرى تتعلق بأمور الأخرة ، فأما التى تتعلق بأمور الدنيا فكثيرة أذكر منها :

١ - انتشار المحبة والألفة بين الناس :

بالطبع أننا لا نختلف أن مجتمع قائم على التكافل والتراحم وإحساس الغنيّ بالفقير ومساندته والوقوف بجواره بكل ما يحتاج من أموال فسوف يكون هذا المجتمع قائم على الحب والمودة بين من يملك ومن لا يملك ، إذن فإن المال من العوامل المهمة فى كيفية انتشار المحبة والمودة بين الناس إذا تم استغلاله الاستغلال الصحيح وفيما يرضى المولى عز وجل .

٢ - القضاء على ظاهرة البطالة :

نرى أن كثيراً من الأغنياء ومن الذين يكنزون الملايين التى أصيبت بالعفن قد اكتفوا بالاستمتاع بالنظر إليها والأُنس بها ، لأنهم يشعرون بالدفء والراحة

طالما بقيت معهم ، وهذا مرض - والعياذ بالله - فكيف يكون الحال إذا ما خرجت هذه الأموال وتم تشغيلها وإستثمارها فى أشياء مشروعة وتم إقامة مشاريع لاحتواء شباب الإسلام فيها ومد يد العون لكل المسلمين تطبيقاً لقول النبى ﷺ : « **أن خير الناس أنفعهم للناس** » .

٣ - مساعدة الشباب على الزواج :

نرى أيضاً مظاهر إسراف من الذين يملكون الملايين ليس لها أى داعى ، مثل إنفاق الملايين فى قضاء الصيف أو الشتاء فى بلاد اللهو والعبث ، أو تجديد وتغيير ما بداخل المساكن والقصور من عام إلى عام ، أو الإنفاق على الشهوات والمحرمات والتى سوف تكون وبالاً وهلاكاً لهم يوم يلقون ربهم جل وعلا .

وهناك أشياء كثيرة من مظاهر الترف والإسراف والتى يتم الانفاق عليها دون أدنى أهمية أو مبالاه .

فبالله عليكم لو قام كل واحد من هؤلاء الأثرياء بإنفاق مليوناً واحداً لدعم حالات الزواج كبناء مساكن لمن يريد العفاف والاستقرار أو شراء أثاثات وبيعها بأسعار مخفضة دون النظر لأشياء أخرى ، فانظر يرحمك الله عن الثواب العظيم الذى ينتظر هؤلاء الذين كانوا سبباً فى بناء بيوت مسلمة وعملوا على عفة الشباب وتحصينهم من الوقوع فى الرذيلة والفاحشة والعياذ بالله .

٤ - كفالة الأيتام والأرامل والمساكين :

كفى من يقوم على هذا فخراً أنه سيرافق النبى ﷺ فى الجنة ، قال رسول الله ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار بأصبعين السبابة والوسطى** » ، ولا بد هنا من سؤال ألا وهو : إن لم يكن أغنياء المسلمين هم

الذين يقومون بكفالة الأيتام والإنفاق على الأرامل والمساكين فمن سيكون لهم ؟ هل يتركوا فريسة سهلة المنال إلى أصحاب القلوب المريضة كى يفعلوا بهم الأفاعيل ، وبعد ذلك نقول أن المجتمع قد انتشر فيه الرذيلة والفاحشة وتدنى الأخلاق .

وإذا أردت أن تعرف السببب الذى أدى إلى هذا لصدمت حين تعلم أنك أنت السبب يا من تملك الأموال وكان فى إمكانك أن تساعد هؤلاء وتكون سبباً فى رسم الطريق الصحيح لهم .

٥ - العمل على نشر دعوة الله عز وجل بين الناس :

فبدلاً أن يُستغل المال فى نشر الفواحش والموبقات كإقامة المقاهى الليلية ودور الرقص واللهو والعبث وإشاعة الرذيلة بين الناس فبدلاً من هذا كله هناك طرق كثيرة للإنفاق على نشر دعوة الله عز وجل بين الناس كتكريم العلماء ورجال الدين ، وكل مسلم له دورٌ فعال فى دعوة الله عز وجل ، فهذا خير من تكريم الفنانين والفنانات والراقصين والراقصات .

ومن هذه الطرق أيضاً العمل على دعم ونشر المؤلفات الدينية والتى يمكن عن طريقها تقديم النصح والإرشاد لجموع المسلمين .

فهذا على سبيل المثال وهناك طرق كثيرة يمكن الانفاق عليها من أجل نشر الدعوة ، ولكن المهم الاستعداد على البذل والعطاء لأنه من يُرد خير فسوف يوفقه الله إلى كل خير .

وأما التى تتعلق بأمور الآخرة فكثيرة : أذكر منها :

١ - طاعة الله عز وجل :

لاشك أن أى عمل ينغبى أن يكون الغرض منه هو طاعة الله عز وجل ،

لذلك فإن الذين يقومون بالإنفاق على أعمال لا يكون الغرض منها التقرب بها إلى المولى عز وجل فعدم فعلها أفضل ، هذا وأن طرق الخير كثيرة لكل إنسان يملك المال ويحسن استخدامه ، إذن فالمال من الممكن أن يستخدم من أجل طاعة المولى عز وجل ، وقد يكون سبباً لدفع النقم والبلايا عن العباد .

٢ – مرافقة النبى ﷺ فى الجنة :

كفاك فخراً يا من تملك الأموال وترعى الأيتام والمساكين والمحتاجين وتتكفل بهم أنك ستكون رفيقاً للنبى ﷺ فى الجنة قال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار بأصبعية السبابة والوسطى** » ، وكفاك فخراً أيضاً أن الله عز وجل قد سخرك أنت لخدمة هؤلاء والعمل على إدخال الفرح والسرور على قلوبهم .

فبهذا تكون رفيقاً لخير خلق الله والرحمة المهداة سيدنا محمد ﷺ لأن مرافقة النبى ﷺ ورؤيته سعادة ما بعدها سعادة ومتعة ما بعدها متعة ، قال ﷺ فى الحديث : « **من عال جاريتين حتى يبلُغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين – وضم أصابعه –** » .

٣ – بذل الأموال فى أداء الفرائض مثل الحج :

كثيراً ما نرى ونسمع عن إقامة الحفلات وأعياد الميلاد والموائد ، وقد تتكلف هذه المهاترات الألاف والألاف من الأموال ، وإذا ما سألت عن هذا الغنيّ الثري عن حاله مع الله عز وجل ، لحزنت وعجبت كثيراً ، بل فى بعض الأحيان يستدعى الأمر البكاء عليه وعلى خيبة أمله ، لأنه قد ترك ركناً من أركان الإسلام وهو القادر عليه ولكنه لم يؤديه إهمالاً وتفريطاً منه ، هذا الركن هو حج بيت الله الحرام .

تراه وقد أنفق من الأموال على هذه المهاترات التى تم ذكرها الألاف والتى كان من الممكن أن يذهب بها عشرات المرات إلى بيت الله الحرام لأداء ركن أساسى من أركان الإسلام .

بعض هؤلاء الأثرياء قد وصلوا إلى ثقافات وعلوم متقدمة ووصلوا إلى درجة من العلم لا بأس بها ، ولكن بكل أسف موضوع الفهم الصحيح للغنى والثراء والتقدم والرقى ما زال محدوداً للغاية عندهم ، وهذا أكبر دليل على ذلك .

٤ - بناء المساجد والملاجئ ودعمها :

فبدلاً من أن يتم دعم وإنشاء أماكن لتعليم فنون الرقص وإنشاء المسارح ودور العرض التى يمكن من خلالها إفساد الشباب وانتشار الرذيلة وتدنّى الأخلاق .

[illegible] من ساهم فى إنشاء هذه الأماكن فسوف يُحاسب حساباً عسيراً يوم القيامة [illegible] كان سبباً فى إفساد جيل من الشباب ولكنك ترى أيضاً أن من يقومون على هذه الأماكن يتباهون ويتفاخرون لا أدرى على ماذا ؟! على جرائم قد ارتكبوها فى حق المسلمين ، أم على نار جهنم التى تنتظرهم جزاءً بما كانوا يفعلون .

فلو توجهت هذه الأموال لبناء المساجد ودور العبادة التى تقام فيها الفرائض ويذكر فيها اسم الله عز وجل ، فانظر ما هو الخير الذى ينتظرك لقاء ما قدمت ، وتخيل يرحمك الله عن الثواب العظيم لأنك كنت سبباً فى إنشاء مكان يُذكر اسم الله عز وجل فيه .

كذلك بناء ملاجئ وأماكن تأوى الذين دار عليهم الدهر ، قال ﷺ فى الحديث : « **لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة** » .

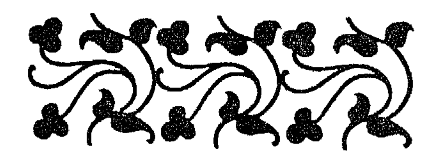
فإن لم تقوم أنت يامن أنعم الله عليك بالمال بستر المسلمين فمن سيكون لهم ؟! .

٥ - التقرب إلى الله والبعد عن المعاصى والآثام :

إن من وفقه الله عز وجل على البذل والعطاء والإنفاق فى سبيل الله سبحانه وتعالى يعيش فى سعادة ما بعدها سعادة ، وراحة ما بعدها راحة ، لأننا نعلم جميعاً أن الطاعة تنتج عنها طاعات كثيرة .

وكفى بمن يشغل نفسه وحياته بفعل الخيرات والبحث عنها أنه بعيداً عن المعاصى والآثام ، لأنه كما نعلم أن نفسك إن لم تشغلها بالحق والخير شغلتك بالباطل واللهو .

فلا وقت لهذا الكريم إلى اللهو والعبث وارتكاب المعاصى والآثام لأنه قد شغل نفسه بما هو أسمى من ذلك وأفضل ، ألا وهو البحث عن الإنفاق فى أماكن الخير التى يمكن من خلالها التقرب إلى المولى عز وجل مصداقاً لقوله فى سورة البقرة : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) ﴾ [البقرة : ٢١٥] .



إيـاك والبخـل

إن البخل من الخصال السيئة والتى ينبغى أن لا نراها فى أى مسلم ، لأن الله عز وجل قد حذر من هذا ، قال عز وجل فى سورة الليل : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ ﴾ [الليل : ٨ - ١١] .

كما أن البخل قد يؤدى فى بعض الأحيان إلى شقاء الفرد فى الدنيا قبل الآخرة ، والشيء المثير للدهشة أن الذين يبخلون فى هذه الأونة هم الذين يملكون الكثير والكثير من الأموال ، نرى فى بعض الأحيان أن بعضهم وهم الذين يملكون الملايين يبخلون على أنفسهم وعلى غيرهم مع أنهم لو أنفقوا من مال الله الذى أتاهم ووسّعوا على أنفسهم وعلى غيرهم فإن هذا الإنفاق لن يؤثر على ما يملكون كالذى يضع أصبعه فى اليم هل يخرج بشيء ، قال عز وجل فى سورة التغابن : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٦ ﴾ [التغابن : ١٦] .

كما أن النبى ﷺ أخبر فى الحديث قال : « **أن خلصتان لا تجتمعان فى مؤمن ، البخل وسوء الخلق** » .

فانظر يا من تؤدى فرائض الله عز وجل على أكمل وجه وتتمنى رضا الله عز وجل أن خصلة البخل لو وجدت فى قلب إنسان مؤمن فعليه أن يراجع نفسه وأن ينزع هذه الخصلة السيئة من قلبه وإلا فسوف لا يصبح مؤمناً بنص حديث النبى ﷺ .

أيضاً أخبر الصادق المصدوق ﷺ فى الحديث : « **أنه لا يجتمع الشح**

والإيمان فى قلب عبد أبداً » .

فمن المستحيل هنا أيضاً أن يكون قلبك عامر بالإيمان ، وفى نفس الوقت يوجد بداخل قلبك خصلة الشح والبخل والعياذ بالله ، وكان من دعاء النبى ﷺ : « **اللهم إنى أعوذ بك من الجبن والبخل** » ، فيا كل غنى ويا كل ثرىّ علام تبخل وأنت وكل ما تملك ملكٌ لله عز وجل واهب النعم ، ودافع النقم ، ورازق الأمم ، وإذا ما جلست يوماً وفكرت فى حال الدنيا لوجدتها بكل ما عليها لا تعدل عند الله عز وجل جناح بعوضة ، فسأل نفسك كم تمثل أنت وما تملك فى جناح هذه البعوضة طبعاً لا شيء .

وأعتقد أيها الأحبة فى الله أن السبب الرئيسى وراء هذه الخصلة السيئة خصلة البخل هى الحب الشديد للمال وعدم إنفاقة فى أوجه الخير التى تم ذكرها من قبل ، وأن الذى يعرف الأضرار التى تنتج عن امتلاك المال وما يصاحبه من بخل وشح لم يأنس به ولا تراه حريصاً عليه ، وتراه يأخذ من هذا المال بقدر ما يكفيه وبعد ذلك ينفق ولا يبخل على عباد الله ، قال ﷺ فى الحديث : « **اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشُح ، فإن الشُح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم** » .

إذن فالشح والبخل يا أحبه كان سبباً فى هلاك الأمم السابقة ودفعهم على فعل المحرمات والعياذ بالله ، كسفك الدماء وجعلهم أن يستحلوا محارمهم .

وفى الحديث عن النبى ﷺ : « **يقول العبد مالي مالي ، وإنما ليس له من ماله إلا ثلاث – ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأمضى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس** » ، أو كما قال ﷺ ، ولكن الأمر الذى

يحتاج إلى وقفه أن بعض الأثرياء الذين يملكون الكثير نراهم يبخلون على أنفسهم وعلى ما يعولون فإننا نقف الآن أمام بُخل من نوع خاص قد يؤدى إلى هلاك ودمار الإنسان فى الدنيا والآخرة .

وقد يكون سبب شقاء الفرد منهم فى الدنيا هم أعز الناس أولاده الذين تربْوا على الشح والبخل والعياذ بالله ، أما فى الآخرة فإننى أذكر حديث عن النبى ﷺ قال: « **ليس منا من وسّع الله عليه فلم يوسّع على نفسه وعياله** » ، كما أننى أنصح هؤلاء كما نصح سلمان الفارسى رضي الله عنه أبا الدرداء عندما كتب له كتاباً قال فيه : « يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدى شكره » .

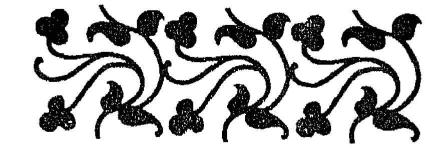
نعم يا أحبة أن أى نعمة منّ الله عز وجل بها على العبد لابد وأن يؤدى شكرها ، وإن لم يؤدى شكرها فسوف يحاسب عليها .

قال سلمان الفارسى رضي الله عنه أيضاً : « إذا مات السّخى قالت الأرض والحفظة : رب تجاوز عن عبدك فى الدنيا بسخائه ، وإذا مات البخيل قالت : اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عن عبادك عمّا جعلت فى يديه فى الدنيا » .

إذن يأتى هذا البخل ويكون ستراً وحجاباً بين العبد وبين جنة الله عز وجل ، فاللهم إنّا نعوذ بك من البخل والشح كما تعوذ بهما عبدك ونبيك ﷺ .

كما قال بعض الحكماء فى موضوع البخل أنه : من كان بخيلاً فسوف يرث ماله أعداءه ، وأبغض الناس إليه ، فالمال الذى أخذ يجمعه من هنا ومن هناك طيلة حياته وقد عاش سنيناً طويلة من حرمان نفسه وغيره من هذا المال ، بل فى بعض الأحيان نراه قد وقع فى المحرمات من أجل جمع هذا المال ، وبعد

موته قد يرث هذا المال ويتمتع به أبغض الناس إليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يحاسب هو فى قبره عن كيفية الحصول على هذا المال وعن البخل والشح الذى كان حريصاً عليهما ، وغيره يتمتع بهذا المال ، فياله من مسكين خرج من الدنيا صفر اليدين .



إياك والطمع وعليك بالقناعة

سألت نفسى يا أحبة مرات عديدة عن سبب طمع وعدم قناعة هؤلاء الذين يملكون الملايين ، فوجدت الإجابة على هذا السؤال لها أسباب عديدة من أهمها ضعف الإيمان فى النفوس والحرص وطول الأمل ، فلو نظرت إلى هؤلاء لوجدت أن شغلهم الشاغل ليل نهار هو : هل من مزيد ؟! هل من مزيد ؟! .

مع أن الواحد منهم لو أنفق مالديه من أموال فسوف يحتاج إلى سنوات طويلة فهل ضمن هذا أن يعيش لحظة واحدة ولكنه الطمع يا أحبه .

إن الطامة هنا كبيرة لأننا نجد الطمع وعدم القناعة من هؤلاء الذين يملكون فلو أنهم كانوا من عامة الناس لأصبح الأمر هين قليلاً لأنه سوف يكون هناك دافع إلى هذا ، مع أن الطمع وعدم القناعة خصال سيئة يجب عدم توافرها فى الغنى والفقير على السواء .

فإذا قمت بتوجيه سؤال إلى الواحد منهم عن سبب هذا الجشع والطمع وعدل القناعة وهو الذى يملك الكثير والكثير من الأموال لو جدت الإجابة على هذا السؤال جملة اتخذوها شعاراً لهم جميعاً وهي أن البحر يحب الزيادة .

إننى لا أدرى أى بحر هذا وأى زيادة هذه التى يتحدثون عنها ، إنه بحر الجشع والطمع وعدم الرضا والعياذ بالله .

كما أنه الهروب من حقيقة وهى حديث النبى ﷺ : « **القناعة مالٌ لا ينفد** » ، فهذا الحديث يا أحبة معادلة صعبة فى هذه الأيام ، فمن رزقه الله عز وجل بالقناعة فهو الغنى بحق لأنه رضى واقتنع بعطية الله عز وجل ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال فى الحديث : « **ليس الغنى عن كثرة العرض ، وانما**

الغنى غنى النفس » .

وكى نعلم أيضاً أيها الأحبة أنه مهما كان للعبد من أموال فإنه ليس له من كل هذه الأموال إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى لحديث النبى ﷺ .

« **يقول العبد مالى مالى ، وإنما ليس له من ماله إلا ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى وما سوى ذلك فذاهب وتاركُه للناس** » ، أو كما قال ﷺ .

إذا ما أصبح العبد حريصاً على جمع المزيد والمزيد من الأموال وزيادة الأرصدة فى البنوك وإقامة المشاريع التى لا تهدف سوى تحقيق المصالح الشخصية وحب امتلاك الأشياء - بل يقع الواحد منهم فى بعض الأحيان إلى الكسب غير المشروع من أجل المزيد من الأموال .

إنّ هذا وقع فى دوامة يصعبُ الخلاص منها وسوف تنتظره عواقب وخيمة يوم القيامة ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال فى الحديث : « **لو كان لابن أدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن أدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب** » .

وصدق أبا الدرداء رضي الله عنه حين دخل على أهل بلد وقال لهم : **ألا** تستحيون ؟! ، تبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الذين كانوا قبلكم بنوْا بناءً عظيماً وجمعوا كثيراً ، وأملوا بعيداً ، فأصبحت مساكنهم قبوراً وآمالهم غروراً وجمعهم بوراً .

كما أنه لابد من تذكرة أخرى لكل هؤلاء وهى أن النفس تحب الرفعة دائماً كما أنها تُحب أن لا يعلو عليها أحد فقد وضح النبى ﷺ هذا الأمر

أيضاً ، قال فى الحديث : « **إذا نظر أحدكم إلى من فضّله الله عليه فى المال والخلق فلينظر إلى ما هو أسفل منه ممن فُضّل عليه** » .

حقاً يا أحبة أن العبد يطمع فى المزيد وينظر إلى ما هو أفضل منه ، وإذا ما ترك العبد نفسه تشتهى الأفضل وتنظر إليه فإنها سوف تؤدى به إلى الهلاك والعياذ بالله ، وإذا ما حدّثتك نفسك يوماً عن الأفضل والأغنى فانظر إلى من هو أقل منك لكى تقنع وترضى بما أنت عليه .

قال ﷺ فى الحديث : « **طوبى لمن هُدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به** » ، كما أن القناعة والرضا بقسمة الله عز وجل من أسباب سعادة المرء فى الدنيا والآخرة ، وأيضاً استغناء المرء عن الناس وعدم النظر لما بين يديهم من أسباب عز وسعادة العبد ، قال ﷺ فى الحديث : « **عز المؤمن استغناؤه عن الناس** » .

كما أن أى صراعات من أجل المال ليس لها أى فائدة لأنه ما كان لك فإنه سوف يصل إليك ، قال ﷺ فى الحديث : « **أيها الناس أجملوا فى الطلب ، فإنه ليس للعبد إلا ما كُتب له** » ، وإذا أردت أن تكون مؤمناً حقاً فتمنى لأخيك المسلم ما تتمناه لنفسك ، وإن أردت أن تكون أكثر الناس شكراً لله عز وجل .

فكن قنوعاً بما كتب الله لك ، قال ﷺ فى الحديث : « **كن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكُن قنعاً تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تُحب لنفسك تكن مؤمناً** » .

كما أن الشكر والرضا يا أحبه يحفظ النعم ويبارك فيها وأن الطمع وعدم القناعة يُزيل النعم ويفنيها وصدق من قال :

أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة والنفس طماعة فعلمها القناعة

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

فكم من نعمٍ زادت ونمت بالشكر وكم من نعم أيضاً زالت وبارت من الطمع والحقد ، كما أن قليل مع راحة وسعادة وإيمان خير من كثير مع همٍ وطمعٍ وطغيان .

وصدق ابن مسعود رضي الله عنه حين قال : « ما من يوم إلا وملك ينادى : يا ابن آدم قليلٌ يُكفيك خيرٌ من كثير يُطغيك » ، فأهلاً ومرحباً يا أحبة بالرضا بالقليل ما دام هناك راحة وسعادة وطاعة لله رب العالمين .

ولا من طمعٍ من أجل الكثير يؤدى إلى الطغيان ومعصية رب العالمين ، وهناك مصيبة تنتظرك يا من جعلت الطمع وعدم الرضا سبيلك فى الحياة .

يا من جعلت الدنيا أكبر همك ومبلغ علمك .

يا من كان حب المال عندك أحب من أى شيء .

يا من بدنياه انشغل وغره طول الأمل .

احترس ثم احترس ، فسوف يؤخذ مالك كله ، وسوف تُسأل عنه كله .

قال يحيى بن معاذ : مصيبتان للعبد فى ماله عند موته : قيل وما هما ؟ ، قال : يؤخذ منه كله ، ويُسأل عنه كله » .



ذم الشبع

إن الشبع وإدمان الطعام شهوة من الشهوات التى قد تؤدى إلى هلاك الإنسان ، قال عز وجل فى سورة مريم : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) ﴾ [مريم : ٦٠] .

فهذا تحذير من قبل المولى عز وجل عن عدم اتباع الشهوات والشبع وامتلاء المعدة بالطعام شهوة من تلك الشهوات ، فمن اتبع هذه الشهوة واستسلم لها فسو يلقى غياً ، وهو كما قيل وادٍ فى جهنم ، والعياذ بالله .

كما أننا نرى أن كثيراً من الذين يملكون الأموال أصبح وشغلهم الشاغل فى كل وقت وفى كل حين هو التنافس فى إعداد الولائم وإعداد حفلات الطعام وما شابه ذلك .

ونرى أيضاً الواحد منهم يُفكر فى شيء واحدٍ فى الليل والنهار ، وهو متى سيأكل وأين سيأكل وما هى نوع الوجبات التى سوف يتناولها ، وكأنه ما خُلق إلا من أجل تناول الطعام والشراب ، إن هذا الذى أخذ يلهث وشغل نفسه من أجل إرضاء بطنه فسوف يخسر كثيراً .

وانظر يرحمك الله إلى هذا الوقت المستنفذ فى هذه المهاترات لوجدته كبيراً جداً فبدلاً من أن يُستغل فى الطاعة والعبادة أو توجيه هذا الوقت فى أى منفعة أخرى ضاع هباءً فى غير فائدة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والأمر المُحزن الذى يندى له الجبين وتقشعر منه الأبدان أن كثيراً منهم عندما يقوم بعمل دعوة لحضور وليمة أو مأدبة طعام نراه يُنفق الألاف والألاف

من أجل تكلفة تلك الدعوة ، ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى وجود فضلات من هذا الطعام بكميات كبيرة كلنا نعلم أين سيكون مصيرها .

أليس هذا يا أحبة إسراف وتبذير من جانب كثير من الأغنياء ، إذا تأملت هذا الأمر جيداً لوجدت أن ما تم إنفاقه لإعداد هذا الطعام قد يكفى طعام حياً من الأحياء التي تعيش على حد الكفاف يوماً بيوم .

أين هم من قول المولى عز وجل في سورة التكاثر : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ [التكاثر : ٨] .

ثم لابد هنا من وقفة أيضاً ألا وهي أين شعور الأغنياء بالفقراء والإحساس بهم ؟! ، هل من حقوق الأخوة التي تربط كل المسلمين أن يتفنن هؤلاء ، في كيفية تبذير الأموال من أجل الطعام والشراب ؟ ، وهل من حقوق الأخوة أن يتفنن هؤلاء من أجل الوصول إلى أفضل أنواع الطعام والشراب .

وهل من حقوق الأخوة أن يتفنن هؤلاء من أجل السفر إلى بلادٍ بعيدة لتناول وجبه واحدة من الطعام !! ، يا لها من سفاهات من جانب هؤلاء لأنهم تفننوا في كل هذا وعلى الجانب الآخر نرى كثيراً من الفقراء ، يكملون باقي عشائهم نوماً ولا يجدون إلا الفتات من العيش .

إن هؤلاء يفعلون ذلك لأن المشاعر والأحاسيس وصلت إلى حد التبلد واللامبالاة ، وكأنهم يخرجون ألسنتهم كبراً وغيظاً لفقراء المسلمين .

أُذكّر كل هؤلاء كما قيل أن البطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع ، والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ، كما أن شهوة البطن أيها الأحبة في الله من أسباب وقوع الإنسان في الذنوب والمعاصي ، وشهوة البطن ينتج عنها شهوة الفرج .

كما أن المنافق هو الذى يأكل كثيراً أضعاف ما يأكل المؤمن ، قال ﷺ فى الحديث : « **المؤمن يأكل فى معىً واحد ، والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء** » ، ومعنى سبعة أمعاء سبعة أضعاف .

سُأل أحد الأطباء يوماً هل تجد الطب فى كتاب الله عز وجل قال لهم نعم لقد جمع الله عز وجل الطب كله فى هذه الآية : ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الإسراء : ٣١] .

فبجانب أن الله عز وجل لا يحب الإسراف والتبذير فى الطعام والشراب فإن الإسراف فى الطعام والشراب يؤدى إلى العديد من الأمراض التى لم تكن فى الذين من قبلنا لأنهم علموا هذه الحقيقة وأدركوها كما أقرّ هذه الحقيقة أيضاً حديث النبى ﷺ : « **ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صُلبه ، فإذا كان لا محاله – فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » .

كما أنه هناك فوائد عديدة لقلة الطعام وعدم الشبع ، أذكر منها :

١ – صفاء القلب .

٢ – كسر شهوة النفس .

٣ – يقظة القلب ومقاومة النوم .

٤ – المداومة على الطاعات والعبادات .

٥ – صحة البدن والوقاية من الأمراض .

وكان يقول أحد الشيوخ : إذا وضع الطعام ، لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً ، فترقدوا كثيراً ، فتخسروا كثيراً .

إذن يا أحبة من أكل كثيراً شرب ، ومن شرب نام ، ومن نام خسر ، ومن

خسر دخل النار والعياذ بالله .

وقال يوماً سيدنا لقمان لابنه : يا بُنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

حقاً يا أحبة إن كثرة الطعام تؤدى إلى خمول العقل ، وكسل الأعضاء عن العبادة وأداء فرائض الله عز وجل .

وقال أحد الصالحين أيضاً : إذا خلا الجوف من الطعام ، كان أعذب للتلاوة ، وأدوم للقيام ، وأقل للمنام .

فالجوع وقلة الطعام عاملان أساسيان فى النشاط والحركة وسهولة العبادات مثل الصلاة وسائر الطاعات ، وليكن لنا فى صحابة النبى ﷺ القدوة والمثل لأنهم كانوا قوّامين بالليل صوّامين بالنهار ، لأنهم قد علموا هذه الحقيقة أن فى الجوع وقلة الطعام كل خير وأن فى الشبع وكثرة الطعام كل شر .

كما كان هؤلاء الصحابة وهم أعلام هذه الأمة من أولها حتى أخرها ، كانوا لا يملكون إلا قوت يومهم وهم الخلفاء والزعماء حتى أن بعضهم كان لا يملك قوت يومه ولكنهم سادوا الدنيا كل الدنيا وأصبحوا ملوكاً عليها من شرقها إلى غربها ، لأن شعارهم كان حديث النبى ﷺ : « **من أصبح منكم آمناً فى سربه ، معافاً فى جسده ، وعنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدُنيا بحذافيرها** » ، سبحان الله من أصبح وعنده طعام يوم فكأنما ملك الدنيا ، أين أصحاب الملايين ؟ ، أين أصحاب الفخامة والسلطان من هذا الحديث ؟! ، إنهم يملكون قوت سنين طويلة وتراهم يعيشون فى صراعات مريرة من أجل المزيد والمزيد ، فمعذرة لك يارسول الله من فعل هؤلاء .

سُأل سيدنا يوسف عليه السلام يوماً : لم تجوع و فى يدك خزائن الأرض ؟

فقال : لأننى أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . لا إله إلا الله ، إنه كان الأمين على خزائن الأرض وكان يملك من الخيرات الكثير والكثير ، ولكنه كان يخاف من الشبع كى لا ينسى الفقراء والمحتاجين .

فأين هؤلاء الذين يأكلون ثم يأكلون ثم ينامون وبعد ذلك يغفلون عن الفقراء والمحتاجين .

ولابد لنا من وقفة مع النبى ﷺ فى هذا الموضوع ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : كان النبى ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبر الشعير » .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « **ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض** » .

أليس هذا هو النبى محمد ﷺ خير خلق الله وأحب خلق الله إلى الله عز وجل ، كان عيشه هكذا و كانت حياته كلها زهداً وإعراضاً عن الدنيا .

مع أن النبى ﷺ لو أراد خير الدنيا وكل ما فيها من نِعم وخيرات لأتاه الله ما أراد ، ولكنه أعرض عن هذا ، وفضّل القليل من العيش لكى يكون مثلاً وقدوة للناس كل الناس .

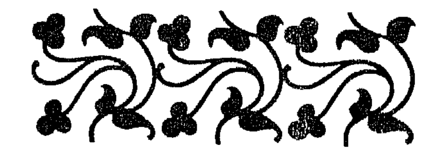
عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فإذا هو بأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فقال : « **ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة** » قالا : الجوع يارسول الله ، قال : وأنا والذى نفسى بيده ، لأخرجنى الذى أخرجكما ، قُوما ، فقاما معه ، فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس فى بيته ، فلما رأته المرأة قالت : مرحباً وأهلاً ، فقال لها الرسول ﷺ : أين فلان ، قالت : ذهب يستعذب لنا الماء ، إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله ﷺ

وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً منى ، فانطلق فجاءهم بعذق فيه تمر ورطب ، فقال كلوا : وأخذ المُديه ، فقال له رسول الله ﷺ : **إياك والحلوب** ، فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا ، قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر -رضى الله عنهما -: **والذى نفسى بيده ، لتُسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم** » .

ومعنى يستعذب الماء : أى يطلب الماء العذب .

ومعنى العذق : أى الكباسه .

ومعنى المُدية : أى السكين .



الحلال بركة وإياك والحرام

قال عز وجل فى سورة المؤمنون : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** (٥١) ﴾ [المؤمنون : ٥١] .

هناك سؤال يطرح نفسه ألا وهو : هل هناك ما يستدعى لتناول الحرام ؟ الإجابة - أيها الأحبة - أنه ليس هناك أى سبب يجعلك من الذين استحلوا الحرام واعتادوا عليه .

لقد أصابتنى الحيرة والدهشة حين رأيت كثيراً من الأغنياء الذين أنعم الله عليهم بالكثير والكثير ، ولكنهم ما زالوا يتعاملون فى الحرام ويأكلون منه ، أقول لهم : أليس لديكم ما يكفيكم ؟! فلماذا إذن التكبر والعناد ؟! ، وهذا الإصرار الغريب على اكتناز المزيد والمزيد من الحرام ، والعياذ بالله .

توبوا إلى الله واندموا على ما مضى واعزموا عزماً أكيداً على عدم العودة إلى الحرام والرجوع إليه ، حتى لا يكون سبباً فى الحسرة والندم يوم القيامة .

لذلك ليس هناك مبرر لتناول الحرام من الغنى والفقير على السواء ، لأن الغنى معه ما يكفيه ، والفقير يصبر ويحتسب وله الأجر والثواب ، وأن يرضى بما قسم الله له ولا يقترب من الحرام حتى ولو مات جوعاً .

قال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **من اقتطع حق إمرئ مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار ، وحرّم عليه الجنة** ، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟! ، **قال ﷺ : وإن كان قضيباً من أراك** » .

فى هذا الحديث وضح النبى ﷺ أمراً فى غاية الأهمية وهو تحذير لكل من فعل الحرام، وقال أنه شيئاً يسيراً ، الأمر اليسير يُصبح مع مرور الأيام إذا تم

التعود عليه كبيراً ويصعب التخلص منه ، فمن استحل الحرام حتى ولو كان قليل فقد أوجب الله له النار ، وحرّم عليه الجنة بنص حديث النبى ﷺ ، كما أننا أُمرنا أن لا نتبع خطوات الشيطان ، لأنه فى بعض الأحيان يُزّين لك الشيطان بعض المحرمات الصغيرة على أنها شيء هين بسيط ، ولكنها من المحرمات والعياذ بالله ، يقول المولى عز وجل فى سور النور : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور : ١٥] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ... ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يده إلى السماء ، يقول : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذى من حرام ، فأنى يُستجاب له** » .

هذا الحديث يأمرنا فيه الصادق المصدوق ﷺ عى تحرى الحلال الطيب لأن الله عز وجل لا يقبل منا إلا الطيب وأن الذى أكل من الحرام ولبس من حرام ، وقد تغذى من الحرام فلن يستجاب له مهما ألح فى الدعاء لله عز وجل ، لأنه قد استحل الحرام ، ثم هناك أمرٌ آخر وهو كيف بالله عليكم أن نُدخل على أولادنا فلذات أكبادنا ونحن نحمل الحرام إليهم لكى يأكوا منه ، أين حبكم لهم وخوفكم وحرصكم عليهم ، فلا تطعموهم من حرام كى يبارك الله عز وجل فيهم ، وأن يكونوا عوناً وسنداً لكم فى الدنيا وأن يدعوا لكم بالرحمة والمغفرة عند مماتكم .

فيا من تنغمسون فى الحرام ، ولا تخشون الله عز وجل اتقوا الله فى دينكم واتقوا الله فى أنفسكم ، اتقوا الله فى أبناءكم .

وقد روى أن سعداً سأل النبى ﷺ أن تُستجاب دعوته ، فقال له النبى ﷺ : « **أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** » هذا أمرٌ لنا جميعاً يا أحبه من أجل

تحرى الحلال وأن نأكل ونشرب من الحلال ، بالله عليكم كيف نتوجه بالدعاء والتضرع إلى المولى جل وعلا سائلينه أن يُغير حالنا إلى أحسن حال ، وأن يغفر لنا الذنوب وأن يستر من العيوب ، وأن لا يحملنا ما لا طاقة لنا به ، وأن يعفو عنا ويغفر لنا ويرحمنا ، وأن يبارك لنا فى أبنائنا وأن يحفظهم ويرعاهم ، ونحن نأكل الحرام ونحن نتغذى بالحرام ونحن بعيدين كل البعد عن الحلال ، فأنّا يستجاب لنا إذن يا أحبه .

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال : « **لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن شبابه فيما أبلاه** » ، أو كما قال ﷺ .

إذن القضية هنا ليست قضية أننا قد اكتسبنا المال من الحلال فقط ، بل هناك أمرٌ أخر وهو كيف سنقوم بإنفاق هذا المال ؟ ، هل سنقوم بإنفاقه فى الحلال كى يبارك الله لنا فيه وكى لا نتعرض للسؤال عنه يوم القيامة ؟! ، أم سنقوم بإنفاقه فى الحرام والعياذ بالله ، فإذا فعلنا ذلك فسوف نُسأل عنه يوم القيامة ، لأن هناك أمر خطير أيها الأحبة فى الله وهو أننا نرى أُناس يخافون الله عز وجل عند اكتساب الأموال ونراهم أيضاً يحرصون حرصاً شديداً من عدم كسبها من الحرام ، ولكن إذا ما امتلكو هذه الأموال نراهم ينفقونها فيما يغضب الله عز وجل كإقامة السهرات والحفلات ، والرقص ، واللهو وشرب المنكرات ، وأوجه إنفاق المال فى الحرام كثيرة كما نعلم .

والسبب يرجع هنا إلى الفهم الخاطئ للإسلام لأنهم طبقوا جزءاً من هذا الموضوع وتركوا جزءاً آخر .

وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « **من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم طرحه**

في النار » ، إذن لا يجوز أن تكسب من الحرام ثم تنفق بعد ذلك في الحلال حتى ولو كان في سبيل الله .

لأن هناك حجج واهية يتخذها كثيراً من الناس الذين يتعاملون في الحرام ويربحون منه ، كمن يقول مثلاً أن هذه هي آخر مرة أكسب فيها من حرام ، وبعد ذلك سأتوب إلى الله عز وجل ، وسوف أفعل الطاعات والخيرات ، فهذا حرام ولا يجوز ولن يقبل الله عز وجل منه ، والإجابة على ذلك أن الله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً .

قال سفيان الثوري رضي الله عنه : من أنفق من الحرام في طاعة الله ، كان كمن طهر الثوب النجس بالبول ، والثوب النجس لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال .

وفي الحديث عن النبي ﷺ: « **كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به** » ، إن الحلال والسعي من أجله جهاد في أيام عمّت فيها الفوضى وكثرت فيها المحرمات والمعاصي ، واختلط بها الحابل بالنابل .

وصدق بن عباس – رضي الله عنهما – حين قال : كسب الحلال أشد من نقل جبل إلى جبل .

وقال بعض السلف : إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يُغفر له ما سلف من ذنوبه ، ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال ، تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر .

من هنا نُخرج أن جهاد المرءُ منا من أجل كسب الحلال حتى ولو عرّض نفسه للتعب والجهد والتعرض في بعض الأحيان لمواقف قد لا توافق بها نفسه ، ولكن كل هذا كان الضريبة من أجل الحلال والبعد عن الحرام ، وأيضاً أن

فى طلب الحلال طاعة لله عز وجل وغُفران الذنوب .

أيها الأحبة فى الله :

لو وصل الأمر إلى ما هو أشد من الجوع فلا ينبغى علينا أن نقترب من الحرام ، لأنه لو مات الإنسان ، وقد كان يُعانى فى حياته كثيراً من أجل طلب الحلال خيراً له من راحة معها حرام سوف تؤدى به إلى نار جهنم، والعياذ بالله.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم فى فيه تراباً خيراً من أن يجعل فى فيه حراماً » .

فإياكم والحرام وما قرب إليه ، وعليكم بالحلال لأنه فى الحلال كل خير وبركة ، ونعم لحلال فيه تراباً ، ولا لحرام إذا ما لذا وطابا .

وفى الحديث عن النبى ﷺ : « **لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام** » .

ويقال : أن من أكل طعاماً فيه شبهة أربعين يوماً أظلم قلبه .

وقال سهل : من أكل الحرام عصيت جوارحه شاء أم أبى – علم أو لا يعلم – ، ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات .

سبحان الله ، وهذه الحقيقة نراها بالفعل أيها الأحبة فى الله ، نرى العاص إذا ما فعل أى معصية تراه يقول لك : إننى لم أدرى بنفسى ولم أتحكم فى نفسى عندما فعلت هذه المعصية ، وعلى الجانب الآخر ترى الذى يأكل من حلال أن كل جوارحه تُطيع الله عز وجل وكأن لديها أمر بفعل الخيرات .

وما قصة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه عنا ببعيد يا أحبه ، يروى أن كان لأبى بكر رضي الله عنه غلام كان يأتيه كل ليلة « بغلته » بطعام يأكله ، وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يأكل هذا الطعام حت يسأل الغلام من أين اكتسبته ، فقيل : جاء ذات ليلة بطعام فأكله أبو بكر لأنه كان جائع من غير أن يسأله ، فقال الغلام : قد كنت

تسألنى كل ليلة غير هذه الليلة فإنك لم تسألنى ، قال له : ويحك الجوع حملنى على هذا ، ويحك أخبرنى من أين جئت به ، قال : كنت قد رقيت لأُناس فى الجاهلية فوعدونى عليه عدة مرات ، فرأيت عندهم وليمة فذكّرتهم وعدهم لي فأعطونى هذا الطعام ، فاسترجع أبو بكر ثم تقيأ ، فكابد وجاهد نفسه من أجل أن ينزع هذه اللقمة من بطنة فلم يقدر حتى اخضر واسود من الجهد فلما رأوْا ما يعانى من الجهد ، قالوا : لو شربت عليه قدحاً من الماء فشرب حتى تقيأ ، فما زال يعالج نفسه حتى نبذها ، وقال رضي الله عنه قولته : والله لئن لم تخرج إلا بروحى لأخرجتها ، لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله تعالى حرّم الجنة على كل جسد تغذى من حرام** » .



احترس من الربا

الربا مُحرم لقول المولى عز وجل فى سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

أيها الأحبة فى الله :

إن الربا محرم بنص الآيات التى وردت فى القرآن الكريم ، وأيضاً بنص أحاديث النبى ﷺ فهو محرم على الأغنياء والفقراء على السواء ، كما أننى لا أجد سبب مُقنع لتناول هذا المال الحرام وخصوصاً من جهة الأغنياء ، لأن الأغنياء لديهم ما يكفيهم ، وأن الربا قد انتشر فى هذه الأيام بشكل واضح وخصوصاً من جانب الأغنياء ورجال الأعمال ، فمعظم تعاملاتهم تعاملات ربوية محرمة والعياذ بالله .

ونرى فى بعض الأحيان أن رجال الأعمال الذين انغمسوا فى هذا المال الحرام ، قد اعتادوا على هذا وألفوه .

لأنه يريد بأى وسيلة نمو هذا المال ، وازدياد الأرصدة عام بعد عام ، ولكن يا أحبة أى حرام كما نعلم سوف يكون مصيرة إلى النار والعياذ بالله .

وقد توهم البعض من هؤلاء الناس الذين أكلوا الربا واستحلوه أنه بمجرد أن يتصدق الواحد منهم أو ينفق جزء من ماله أو عندما يذهب لكى يؤدى العمرة أو الحج أنه بهذا قد طهر هذا المال ، أقول : لهذا : أن مالك حرام وحجك مردود عليك ولن يقبل الله منك ، لأنك قد استحللت شيئاً قد حرمه الله عز وجل ونبيه ﷺ .

قال النبى ﷺ فى الحديث : « **لعن الله آكل الربا ومؤكله ، وشاهديه ،**

وكـاتبـه » ، فكل من تعامل بالربا سواء المستفيد أو أى إنسان له علاقة بهذا الموضوع ، كلهم ملعونون بنص حديث النبى ﷺ .

والشيء المثير للدهشة أن الغالبية العظمى من المتعاملين فى الربا هم الذين يملكون الملايين ، أقول لهم اتقوا الله عز وجل ، لأنه لديكم ما يكفيكم وأن قليل من حلال خير من كثير من حرام يؤدى إلى معصية الله عز وجل .

واعلموا أن من أسباب غضب الله عز وجل وهلاك الناس إنتشار الربا بين العباد .

روى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أنه قال : « **إذا ظهـر الزنا والربا فى قرية ، آذن الله بهلاكها** » .

وقيل : أن درهم من الربا شرٌ من بضع وثلاثين زنية .

ورداً على كل من يتعامل بالربا ، ثم يقول إننى سأنفق جزءاً منه فى سبيل الله لكى يتجاوز الله عنى :

روى عن عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : « **ما يكسب العبد مالاً من الحرام فيتصدق به فلا يؤجر عليه ولا ينفق منه فلا يبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار** » .

وقيل أن الله تعالى يأذن بالقيام للبر والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا ، فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، يعنى : كلما أراد أن يقوم سقط مرة أخرى .

عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « الزائد والمستزيد فى النار ، يعنى الآخذ والمُعطى » .

وقيل : أنه لما عُرج بالنبى ﷺ إلى السماء السابعة سمع فوق رأسه رعداً

وصواعق ورأى رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت ، فيها حيات وعقارب ، تُرى من ظاهر بطونهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل فقال : هؤلاء آكلة الربا .

فيا عباد الله :

اتقوا الله عز وجل ، وطّهروا أموالكم ، وابتعدوا عن الحرام ، واعلموا أنه كم من مالٍ كثير جاء من الحرام إلا وقد جلب على صاحبه همّاً وكرباً وشقاءاً كثيراً ، فتوبوا إلى الله عز وجل من هذا الحرام واستغفروه .



الكـــرم والسخـاء

يقول المولى عز وجل فى سورة البقرة : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

إن الكرم والسخاء خلق من أخلاق المسلم الملتزم بتعاليم الإسلام ، كما أنهما من الأخلاق الكريمة الفاضلة التى قد تكون سبباً فى دخول الإنسان الجنة التى أعدها الله عز وجل لعبادة المتقين الأسخياء الكرماء الذين ربّوْا أنفسهم ، وأحسنوا تربيتها فهنيئاً لهم تلك الخصال الحميدة.

وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً** » ، ومن هنا نعلم أن ما ينفقه الإنسان من أجل طاعة الله عز وجل فسوف يُخلف عليه الله عز وجل هذا المال ويبارك له فيه ، أما الإنسان الشحيح الممسك فسوف يُصاب هو وما يملك بالتلف والخسران والبوار والعياذ بالله .

قال عز وجل فى سورة سبأ ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾ [سبأ :٣٩].

إن من أراد أن يربى نفسه فعليه بالكرم والسخاء وكثرة الانفاق لأن النفس البشرية من طبائعها أنها تميل دائماً إلى الشح والبخل ، وعدم فعل الخيرات – فإن أردت أن تربى نفسك فخالف هواها وعليك بالكرم – واعلم يرحمك الله أن الكريم لا يُضام ولن يخذيه الله عز وجل لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

قال النبى ﷺ فى الحديث : « **إن الله جواد يُحب الجود ، ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافُها** » .

من هذا الحديث يُخبرنا النبى ﷺ أن الجود صفة من صفات الله عز وجل ، فعلينا يا أحبة بالانفاق والكرم والسخاء ما دام هناك فُسحه فى الوقت والمال قبل أن تلقى الله عز وجل فتندم على ما فاتاك .

قال الله عز وجل فى سورة المنافقون : ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)** ﴾ [المنافقون : ١٠ - ١١] .

كما أن الكرم والسخاء علامة من العلامات الدالة على الزهد فى الدنيا لأن هذا الإنسان عَلِمَ علم اليقين أنا ما عنده سوف يفنى ويزول وأنه يعمل ويجتهد من أجل ما هو أسمى وأفضل ، من أجل الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فلا تكن ممنّ قال الله عز وجل فى حقهم فى سورة المعارج : ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)** ﴾ [المعارج : ٩- ٢٥] .

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال : « **أنفق يا ابن أدم يُنفق عليك** » .

وإليكم أيها الأحبة فى الله أروع أمثلة السخاء والكرم ، يروى عن عائشة رضى الله عنها أن معاوية قد بعث إليها بمال قدره مائة وثمانون ألف درهم ، فوضعته فى طبق فجعلت وتُقسمهُ بين الناس فلما أمست قالت لجاريتها - هلمى فطورى ، فجاءتها بخبزٍ وزيت ، وقالت لها : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ، فقالت لها : « لو كنت ذكرتينى لفعلت » .

احترس من البطانة السوء

إن مما لا شك فيه أن معظم الأغنياء والأثرياء هم من أصحاب المؤسسات والشركات وأيضاً نرى معظم الأغنياء من السادة المسئولين فى تلك المؤسسات والذين قد تولوْا مسئولية قطاع عريض من عامة الناس .

فى بداية حديثى عن هذا الموضوع أدعو الله عز وجل أن يوفق كل مسئول فى أى مكان ، وأن ينوّر له الطريق ، وأن يجعله أهلاً لهذا المكان وأن يرزقه البطانة الصالحة التى تُعينه على الخير والصلاح .

كما أدعو الله عز وجل أن يهدى كل إنسان إلى تحكيم كتاب الله عز وجل ، لأنه كما نعلم من حكم به عدل ، ومن تحدث به صدق ، ومن جعله أمامه قادة إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، والعياذ بالله .

ولكن قبل أن أدخل فى هذا الموضوع أريد أن أوضح أمر فى غاية الأهمية وهو أنك إذا رأيت إنسان مسئولَ يُبطش ويتعالى عن سماع الحق ، وقُلت له اتق الله وارجع وراجع نفسك ، وعليك بكتاب الله عز وجل ، فتُصدم حين تسمع الرد بأن الحكم واللجوء إلى شرع الله كان فى الماضى ، وأننا نحن فى الحاضر عصر التقدم والرقى والتكنولوچيا والانترنت ، وما إلى ذلك من تقدم ورقىّ فى شتى المجالات .

أقول له إياك وأن تقول هذا ، لأن العمل بكتاب الله عز وجل أساس كل تقدم ، وأساس كل رقى ، وسبب كل عز ورفعه للفرد والمجتمع .

فعليك يرحمك الله بتطبيق الإسلام مع كل من تتعامل معهم حتى مع نفسك لأن هذا القرآن هو مصدر عزنا ، فمن حكم به صدق ونجا ، ومن تركه

خاب وخسر .

كما أن هذا القرآن صالح لأى مكان نافع لأى زمان ، لأنه هدىً ونورٌ من الرحمن .

أما الحديث عن البطانة السوء لابد أولاً أن يبدأ بسؤال وهو : من الذى سيدفع ثمن أى قرار سوف يُتخذ ؟! ، أنت أم من حولك من أشخاص يزّينون لك الباطل .

الإجابة : أنك أنت الذى سوف تدفع الثمن ، قد يكون هذا الثمن فى الدنيا ، إذا نزّع الله منك المال والمنصب أو فى الآخرة ، عندما تقف وحيداً فريداً لا أنيس ولا جليس ، فأين قُرناء السوء ؟! ، وأين بطانة السوء التى كانت لك فى الدنيا .

إذن طالما أنت الذى ستقوم بدفع الثمن يا من حكمك الله على مصالح العباد فلماذا تسير وراء هؤلاء الذين لا يبغون إلا الفساد والأذى وتحقيق المصالح الشخصية ، فينبغى عليك أن تتخذ لنفسك بطانة صالحة تُعينك على الحق لا على الباطل إذا أصبت أيدوك وناصروك ، وإذا أخطأت وزين لك الشيطان سوء عملك نصحوك وأرشدوك ، ورسموا لك الطريق الصحيح .

بالله عليك ، أيهما أفضل لك من أعانك على الخير والصلاح ، أم من أعانك على الفساد والأذى والإساءة إليك .

لقد أمرنا النبى ﷺ أن نتخذ الأمناء الأتقياء وأن يكونوا لنا سنداً وعوناً على الخير فى الدنيا ، قال ﷺ فى الحديث : **« لا تُصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي »** .

فاحذر يا عبد الله من أن يكون سبب وصولك إلى أعلى المناصب وأرفع

الدرجات وكسب كثير من الأموال أن يكون ورائه بطانة سوء تؤيد الباطل وتسانده ، وتقف ضد الحق وتحاربه .

وكثيراً ما نرى ونسمع أيها الأحبة عن هؤلاء المسئولين فى شتى الأماكن الذين هم من علية القوم ، والذين يتخذون لأنفسهم فئة من الناس تعينهم على الباطل وتزينه لهم ، أقول لهم : اتقوا الله واحذروا هذه البطانة السوء وتخيروا لأنفسكم البطانة الصالحة التى إذا رأت منكم أى إعوجاج قومته ، وإذا رأت أى صلاح ساندته وأيدته .

وإنك إذا نظرت فى مرة من المرات عن الذى يتخذ لنفسه بطانة سوء سوف تجده إنسان فاشل بكل المقاييس لأنه يحاول أن يثبت نجاحه بالقوة والطرق غير المشروعة ، وإذا نظرت على من حوله من أعضاء هذه البطانة لوجدت المأساة ، فهذا لا يصلى ، وهذا مدمن كذب، وهذا مدمن شهادة زور، وهذا قاطع طريق .

وغيرهما من الأشخاص الذين يملكون الكثير من الصفات البشعة ، **بالله عليك أيها المسئول** يا من اتخذت هؤلاء هم الناصحين والراشدين لك واتخذتهم شركاء فى صنع القرار .

أقول لك : إنك قد اتخذت خونه نعم ، أقسم لك ، أنهم خونه لأنهم قد خانوا الله عز وجل قبلك ، أتعلم لماذا لأنهم لم يؤدوا فرائض الله عز وجل ، وأهم هذه الفرائض الصلاة ، لقد ضيعوها ، وأى مسلم ضيع الصلاة وأهمل فى أدائها فهو خائن .

فلا بد هنا من سؤال : وهو أن إنسان غير أمين مع الله عز وجل فكيف بالله عليك سيكون أمين معك ؟!! .

يامسلمون يا مسئولون يا من تملكون مصالح الناس بين أيديكم أريد

الإجابة على هذا السؤال : من خان الأمانة مع الله ، هل سيكون أمين مع عباد الله .

إن من خان حى على الصلاة خان حى على أداء الأمانة

إن من خان حى على الصلاة خان حى على الإخلاص والوفاء

إن من خان حى على الصلاة خان حى على إتقان العمل

إن من يتخذ هؤلاء عوناً وسنداً له فى الدنيا لتحقيق أغراضه سوف يأتى هؤلاء جميعاً ويلقون التهم والمصائب على بعضهم البعض ، يقول أحدهم أنت الذى فعلت كذا وكذا ، ويقول الآخر : أنت الذى جعلتنى أفعل كذا وكذا ، ولا يزالون يفعلون ذلك حتى يقضى الله عز وجل بينهم فهؤلاء الذين كانوا يتظاهرون بالحب والمودة لبعضهم البعض سيكونون من ألد الأعداء يوم القيامة والعياذ بالله .

يقول المولى عز وجل فى سورة الزخرف : ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** (٦٧) ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

كما أن من أهم هوايات هذه الفئة هى النميمة وتبليغ وإعداد تقارير ورفعها يومياً للسادة المديرين وغيرهم ، أقول لهم جميعاً أن هذه الأوضاع لن تدوم طويلاً وسبحان الذى يغير ولا يتغير ، اتقوا الله واعلموا أن من أسباب دخول الإنسان النار هى مثل ما تفعلون .

وأن النبى ﷺ قد نها عن القيل والقال ، قال النبى ﷺ فى الحديث : « **لا يُبلغنى أحدٌ من أصحابى عن أحدٍ شيئاً ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر** » .

لابد أيضاً من صرخة معها توسل ورجاء إلى كل مسئول فى أى مكان

حتى ولو كان مسئول عن فرد واحد من عباد الله ، أقول له فيها : اتقى الله عز وجل ولا تكن الكُورباج المُسلط على رقاب الناس لصالح من له رأس المال أو صاحب العمل ، واعلم علم لايقين أن صاحب رأس المال الذى لا يتقى الله عز وجل يحقق رغباته وطموحاته من خلالك أنت يا مسكين ، إذن فأنت بمثابة سُلم له لكى يحقق ما يُريد ، يجعلك أنت فى الصورة ، أنت الذى تأمر وأنت الذى تنهى ، وأنت الذى تظلم ، وتُقيد عباد الله من أجله ، وأنت الذى سوف تقف أولاً أمام الله عز وجل لكى تُسأل عن هذا كله ، قال ﷺ فى الحديث : « **أيما راع غش رعيته فهو فى النار** » .

فاللهم عليك بمن غش أى مسلم ، وعليك بمن أدخل الهم والحزن على أى مسلم .

وينبغى أيضاً على كل مسئول أن لا يكون عصا الظالم التى يضرب بها صاحب رأس المال عباد الله ، لأن صاحب رأس المال المريض بالطمع والجشع يريد أن يحقق هذا ولا يكون إلا من خلال هذا المسئول الضعيف الذى يريد الحفاظ على منصبه وتراه على أتم استعداد على تقديم مزيد من التنازلات حتى على حساب دين الله عز وجل من أجل كسب ثقة الطاغية الأكبر صاحب رأس المال أن المسئولية ليست هكذا ولكن المسئولية تضحية وعطاء المسئولية تحكيم كتاب الله عز وجل ، المسئولية إحساس بعامة الناس ، المسئولية إيجابية لا سلبية ، المسئولية كرامة لا مهانة ، المسئولية يقين تام من أن الرزق ليس بيد أحد إلا واهب الأرزاق .

فإياك وأن تكون حريص على المنصب خوفاً من إنقطاع الرزق فهذا سوف يكون سبب خُسرانك فى الدنيا والآخرة ، وفى الحديث عن النبى ﷺ : « **ما من عبد يسترعيه الله رعيه ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله**

عليه الجنة » .

فأنت مسئول أمام الله عز وجل عن أى فرد تحت مسئوليتك ، إذا حكمت وعدلت وأصبت ، وقيل لك جزاك الله خيراً فأنت فى الجنة ، وإذا ظلمت وبطشت وحرصت على منصبك وقيل لك حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأنت فى النار ، والعياذ بالله .

وكان من دعاء النبى ﷺ : « **اللهم من وليّ من أمر أمتى شيئاً ، فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً ، فرفق بهم فارفق به** » .

فمن اعتمد على تمكين نفسه فى منصبه أو زيادة أمواله على البطانة السوء التى لا تدعو إلى خير أبداً .

فإنى أقول لهذا الذى تولى أمر الناس إن وضعك هذا وضع زائف آيل للسقوط فى أى لحظة ، وأن الأموال التى اكتسبتها وأنت تعتمد على تلك البطانة ، فهى أموال حرام لأنه من بُنى على باطل فهو باطل ، وأن الله عز وجل طيب لا يقبل إلا كل طيب ، فإياك وأن تعتمد على إنسان يدعوك إلى الشر ويُزين لك الباطل .

قال ﷺ فى الحديث: « **ما بعث الله من نبى ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمُرُهُ بالمعروف ، وتحضُهُ عليه ، وبطانة تأمُرُهُ بالشر وتحضُهُ عليه ، والمعصومُ من عصم الله** » .

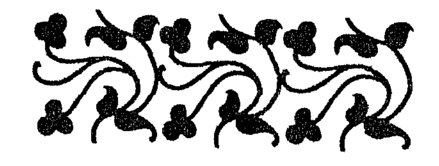
كما أنه من علامات رضا الله عز وجل على العبد وخصوصاً أى غنّي أو ثريّ فى أى قطاع من القطاعات ، أن يرزقه الله عز وجل ببطانه صالحه تعينه على الخير والصلاح .

قال ﷺ فى الحديث : « **إذا أراد الله بالأمير خيراً ، جعل له وزير صدق ،**

إن نَسيَ ذكَّرهُ ، وإن ذَكَر أعانه ، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نَسى لم يُذكّره ، وإن ذكَرَ لم يُعنهُ » .

وهناك نصيحة أخيرة لهؤلاء ، وهى أن كل مسئول ناجح لا يحب تابعين فاشين لأنه بطبعه ناجح يُريد الناجح الصالح مثله .

وأن كل مسئول فاشل لا يحب تابعين ناجحين لأنه فاشل لن يقبل أن يكون هناك أنجح منه وعلاج هذا أن كل إنسان يتقى الله عز وجل ويُصلح نفسه وأن يتخير البطانة الصالحة وأن يبتعد عن البطانة السوء .



احترس من فتنة وبريق الكرسي

قال ﷺ في الحديث : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً ، قال ﷺ : « **إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطرُ الحق وغمط الناس** » .

ومعنى بطر الحق : أى رده وعدم قبوله .

ومعنى غمط الناس : أى إحتقار الناس .

نرى أن بعض أصحاب الأماكن المرموقة في المجتمع والذين قد تولوا مسئولية قطاع كبير من الناس أصبح وشغلهم الشاغل في كل وقت وحين هو كيفية الحفاظ على هذا المنصب مهما تكن التضحيات ومهما تكن النتائج حتى ولو على حساب كثير من خلق الله عز وجل .

ظن بعضهم أيضاً أن هذا المكان المرموق هو الحصن الحصين الذى سوف يدفع عنه أي بلاء ، إن من يظن هذا فإنه يعيش في وهم وغفلة ، إنني أُذكّر كل هؤلاء أنه من علا ، فالله عز وجل أجلَ وأعلا ، فلا ينبغي على أى إنسان أن ينسى نفسه ، وأن يتذكر أنه عبد مثل باقي العباد وأنه سوف يفنى ويزول ، ولا ينبغي أيضاً على كل إنسان نال أرفع الدرجات وأعلى المناصب أن يكون هذا المنصب سبباً في التفاخر والبغى على عباد الله .

قال ﷺ في الحديث : « **إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ولا يبغى أحد على أحد** » .

واعلم علم اليقين أنه لو دام الكرسيّ والمنصب لغيرك ما وصل إليك ،إذن لن يدوم إليك حتى يصل لغيرك ، ولابد من سؤال مع النفس – أين فرعون –

أين هامان ؟ ، أين النمرود ؟ ، أين كل الطواغيت والجبابرة ؟ ، أين من ذلوا الناس واستبعدوهم ؟ ، إنهم جميعاً فى النار وأصبحوا نسياً منسياً .

بالله عليك هل أنت تمثل شيئاً فيما وصل إليه كل هؤلاء بالطبع لا ، لذلك فإنك إن سلكت طريقهم وغيّهم فسوف تهلك وتندم مثلهم .

فتذكر دائماً أنك عبد لله عز وجل ، فإذا وصلت إلى أرفع الدرجات فاعلم أن هذا اختبار ، واعلم أن هذه فتنة فاحترس من هذا وإياك أن تغتر بحالك واعلم أنه كلما ارتقيت ووصلت عظُم السؤال والحساب وزادت الأعباء .

واعلم يرحمك الله أن كل شيء محسوب عليك إن كان خير ، فاشكر الله عز وجل ، وإن كان غير ذلك فلا تلومنّ إلا نفسك ، وعليك بالتوبة والرجوع إلى المولى جل وعلا .

قال المولى عز وجل فى سورة الزلزلة : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) ﴾ ثم قال : أتدرون ما أخبارها ؟ ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ وأمةٍ بما عمل على ظهرها ، عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها » .

وعليك يرحمك الله أن لا تكون حريصاً على الإمارة والزعامة لأنها سوف تكون ندامة يوم القيامة ، وإذا هى أتتك فاتقى الله عز وجل فيها ، ولا تكن حريصاً عليها ، واجعل من هم تحت مسئوليتك يتمنون رؤيتك ويدعون لك فى

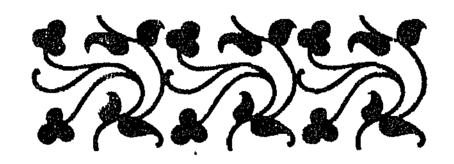
السر والعلن .

وإذا قمت في مرة من المرات بتوزيع أى منفعة للناس أتقى الله عز وجل ، وكُن عادلاً في القسمة بين من يؤيدك ومن يعارضك ، وإياك أن تخص نفسك بمنافع هى من حق العباد وتأخذها ظلماً وزوراً .

يروى أن عمر بن العزيز رضي الله عنه أخذ في يوم من الأيام يوزن مسك بيديه كى يوزعه على المسلمين - فأخذ بأنفعه حتى لا تصيبه الرائحة - قائلاً : وهل يُنتفع منه إلا بريحه ، سبحان الله ، إنها قمة العدل والحرص وتحرى الحلال .

فاتقوا الله عباد الله واعدلوا لأن اليوم عملٌ بلا حساب وغداً حساب بلا عمل .

قال عز وجل في سورة البقرة : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة : ٢٨١] .



يا صاحب المال إياك والظلم

قال عز وجل في سورة إبراهيم : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) ﴾ [إبراهيم : ٤٢ - ٤٤] .

اعلم يرحمك الله :

أنه ليس هناك شيء أكبر وأعظم من الظلم واعلم أيضاً أن الظلم نوعان : ظلم بين العبد وبين خالقه ، وظلم بين العبد والعباد .

فإذا كان هذا الظلم بينك وبين الله عز وجل فإن الله عز وجل غفور رحيم كريم ، يتجاوز عنك ، أما إذا كان هذا الظلم بينك وبين العباد فلا حيلة سوى رضا المظلوم والاعتذار إليه .

وإياك أن يأتى عليك صباح أو يأتى عليك مساء وأن يكون بينك وبين العباد أى نوع من أنواع الظلم .

وتذكر دائماً أن الموت يأتى بغتة ، فكن مستعداً له واعطي كل ذى حق حقه ، ورد المظالم لأصحابها قبل أن يأتى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

بالله عليك لو قيل لك أنك ستموت غداً أو بعد شهر أو بعد سنة هل تجرؤ على فعل أى معصية هل تستطيع أن تظلم أحد ، فاحترس ، لأن الموت كرب عظيم ، بيد الله عز وجل لا تدرى متى يأتى إليك .

قال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه ، من عرض أو من شيء ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه** » .

عن سفيان الثورى قال : إن لقيت الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله تعالى أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد .

إذن الذنب الذى بينيك وبين الله عز وجل أهون وأيسر من الذنب الذى بين العبد وبين العباد .

وصدق من قال :

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لا تنم

إذا ما دعتك قدرتك يوماً على ظلم عباد الله ، فاعلم أن آخر هذا الظلم ندم وحسرة ، وتذكر دائماً أن الله عز وجل يمهل ولا يهمل ، ولكن يؤخرك يوماً بعد يوم لعلك تفيق من غفلتك وإذا سلكت هذا الطريق رافعاً شعار أنا الأقوى أنا الأعلى ، ياحسرةً عليك ، وياويلك من عقاب من لا يغفل ولا ينام ، وإياك وأن تظن أن الاستمرارية فى الظلم والتمادى فيه خيراً لك .

قال ﷺ فى الحديث : « **إن الله ليُملى للظالم فإذا أخذه لم يُفلته** ، ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود : ١٠٢] .

كما أن المولى عز وجل قد حرّم الظلم على نفسه وهو مالك الملك ، وأنت يا عبد يا ابن العبد هل يجوز أن تستحل الظُلم لنفسك ، قال رسول الله ﷺ :

« قال المولى عز وجل : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** » ، واعلموا أن أى إنسان يمشى بالظلم بين الناس فهو قبل أن يوّقع الظلم عليهم فهو يوقعه على نفسه أولاً .

قال عز وجل فى سورة النمل : ﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴿٥٧﴾ ﴾ [النمل : ٥٧] .

وقال عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه : « إننى إن أحسنت لأحد فقد أحسنت لنفسي ، وإن أسأت لأحد فقد أسأت لنفسى ، لقول المولى عز وجل : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا** ﴾ [فصلت : ٤٦] ، وإياك وأن تأتى بصلاة وصيام وزكاة ولكنك كنت فى الدنيا تقذف هذا وتأكل مال هذا ، وتعتدى على هذا ، فيأخذ هذا من حسناتك وهذا من حسناتك ، فإن فنيت سوف تأخذ من سيئاتهم ثم تطرح فى النار .

قال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **أتدرون من المفلس ، قالوا المفلس من لا درهم له ولا دينار ولا متاع ، قال : إنى المفلس من أمتى الذى يأتى يوم القيامة بصلاته وزكاته وصيامه ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم وطُرحت عليه ، ثم طُرح فى النار** » .

وقيل : أن الرجل يقرأ القرآن ، وهو يلعن نفسه ، قيل وكيف يلعن نفسه ، قال : يقول : ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود : ١٨] وهو ظالم .

بالله عليك كيف تقرأ آيات الله عز وجل التى نهانا الله فيها عن الظلم ، وأوضح فيها عاقبة الظالمين ثم تأتى وتظلم وتأخذ حقوق الناس بالباطل ، وكأننا

لم نسمع أي شيء عن موضوع الظلم .

وإذا فعلنا ذلك أيها الأحبة فى الله فنحن نلعن أنفسنا إذن ، والظلم عواقبة وخيمة لا يتحملها أى إنسان مهما بلغ من قوة ونفوذ وسلطان .

قال عز وجل فى سورة الشعراء : ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** (٢٢٧) ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] .

وقد حذرنا الصادق المصدوق ﷺ من دعوة المظلوم ، قال ﷺ فى الحديث : « **اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** » .

وروى عن فضيل بن عياض قال : « قراءة آية من كتاب الله عز وجل والعمل بها أحب إليّ أن أختم القرآن ألف مرة ، وإدخال السرور على المؤمنين وقضاء حوائجهم أحب إليّ من عبادة العمر كله ، وترك الدنيا ورفضها أحب إليّ من أن أعبد الله بعبادة أهل السموات والأرض ، وترك دانق من حرام أحب إليّ من مائة حجة من مال حلال » .

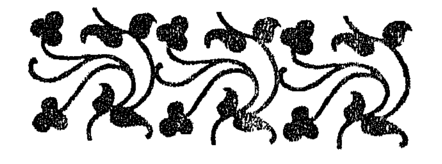
وعلينا أيضاً : أيها الأحبة فى الله أن نمنع أى ظالم عن ظلمه لأننا سوف نُحاسب على هذا ، ولا نقول كما يقول البعض أنه لا شأن لي ، إن الإسلام قد أمرنا بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإذا تركنا الظالم يعبث ويفعل الأفاعيل بعباد الله وقد اكتفى الكثير منا بالمشاهدة ، فهذه سوف تكون بداية الهلاك ، وانتشار الفساد والعياذ بالله .

قال ﷺ فى الحديث : « **إن الناس إذا رأوْا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يُعمهم الله بعقاب منه** » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « **من أعان ظالماً على ظُلمه ، أو لقنه حُجة يأخذ بها حق أمرى مسلم فقد جاء بغضب من الله وعليه وزرها** » .

فإياك أن تُعين ظالم على مسلم فإن هذا يؤدى إلى غضب الله عز وجل ، كما أن هذا الظلم سوف يقع وزره عليك ، إن الأمر يستلزم منا جميعاً أن نقف بجوار أى مظلوم وأن نتصدى لأى ظالم كى نكون بحق خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وكى نُطهر هذا المجتمع من كل الطغاة والمتكبرين الذين لا يُريدون خيراً للإسلام والمسلمين .

وقيل أيضاً أيها الأحبة فى الله : أن منكر ونكير يأتوا إلى رجل فى قبره ، فيضرباه ضربة واحدة ، فيلتهب القبر ناراً ، فيقول الرجل : لما ضربتمانى هذه الضربة ، فيقولا له : لأنك مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تُغثه ، فهذا حال الذى لم يُغث المظلوم فكيف سيكون حال الظالم .



الدين المعاملة

هناك مفاهيم خاطئة لدى كثير من الناس نحو : المفهوم والمعنى الصحيح للعبادات ، وقد يظن البعض أنه طالما أدى فرائض الله على أكمل وجه أنه بهذا قد ضمن رضا الله عز وجل ، وضمن دخول الجنة .

وهذه الفرائض والطاعات مطلوبة من كل إنسان وإن لم يفعلها أو قصر فى أدائها سوف يحاسب عليها .

لابد أيها الأحبة فى الله أن يكون لأى طاعة يقوم الإنسان بأدائها ثمرة ، ولابد أيضاً أن تنعكس هذه الطاعات على تعامل الفرد مع من حوله ، الدين ليس أداء فرائض وطاعات فحسب ، لكن لابد وأن ينعكس هذا كله على سلوك وتصرفات الإنسان .

إن المسلم الصحيح هو الذى يؤدى ما عليه من فرائض وحقوق لله عز وجل ، وهو هو الذى يتعامل مع الناس بالرحمة والمودة والرفق واللين والإيثار وعدم خيانتهم وعدم أذيتهم ، لقول النبى ﷺ : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه** » .

إذن فالدين عبارة عن مجموعة سلوكيات ومعاملات تُستمد من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج .

فمن أهم ما تهدف إليه الصلاة : معاشرة الناس ، وتوليد الأُلفة والمحبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحُسن تربية الفرد تربية صالحة تؤهله إلى التعامل مع الناس بالحكمة والحسنى .

ومن أهم ما تهدف إليه الزكاة : دعم وكفالة غير القادرين ، وهى تربية

وتقويم للنفس البشرية التى تميل إلى الشُح والبخل .

ومن أهم ما يهدف إليه الصوم : كسر شهوة النفس ، والشعور بعامة الناس وتقوى الله عز وجل .

ومن أهم ما يهدف إليه الحج : توحيد أمة لا إله إلا الله ، والمساواة بين الغنى والفقير وأنه لا فرق بين أبيض على أسود إلا بالتقوى ، فكلهم يرتدون ذي واحد يؤدون مناسك واحدة فى وقت واحد بهدف واحد ، وهو أن يغفر الله لهم ويعودوا كيوم ولدتهم أمهاتهم .

إذن فالإسلام مجموعة سلوكيات ومعاملات ينبغى على الفرد أن يتبعها مع الأهل والإخوان والزملاء حتى مع النفس .

يظن كثير من الناس أن الدين فى المسجد فقط ، لا أيها الأحبة ، إن الدين لابد وأن يظهر فى جميع مظاهر ونواحى الحياة ، وكما قيل أن النبى ﷺ كان خُلقه القرآن ، وكأنه قرآناً يسير بين الناس .

هذه كانت مقدمة لما أردت توضيحه لأنه من المستحيل أن يحاول أى إنسان أن يفصل بين الدين وبين ما يفعله من تصرفات ، وبما أن الحديث عن الأغنياء فهل يُعقل أن صاحب رأس المال أو صاحب أى عمل من الأعمال يقتطع حق العالمين معه ويُضيق عليهم ، وبعد ذلك نرى الترف والإسراف والتنعم فى المأكل والمشرب والمسكن ، كل هذا على حساب الفقراء الذين يعملون فى مصالحهم .

إن من أكل حقوق الناس وضيّق عليهم فى الدنيا فسوف يُضيق الله عليه فى الآخرة .

كنت أتمنى من أصحاب تلك المؤسسات والمصالح أن تتولد لديهم ذرة من الرحمة والشفقة والعدل نحو هؤلاء المساكين ، لأنه ليس من العدل والانصاف

أن يعيش هؤلاد عيشة الأمراء والملوك وغيرهم من العاملين معهم لا يجدون ما يكفيهم من المتطلبات الأساسية .

إننى لا أطالب أن تتساوى الرؤوس ولكن لا يكون الفارق بهذا الحد الذى نراه ، أُناس يعيشون فى أعلى مستويات الترف والبزخ ، وأُناس يعيشون فى أدنى مستويات الفقر والضنك ، ولو أعطى أصحاب الأعمال هذه الفئة المنكوبة ما يستحقون من حقوق ونظروا إليهم لتغير الحال تماماً .

قال عز وجل فى سورة النحل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [النحل : ٩٠] ، فإياك أن تأكل حقوق الناس من أجل تحقيق أطماعك وكسب مزيد من الأموال ، ومزيد من التوسعات ، إن من فعل هذا ماله حرام ، وكل ما وصل إليه فهو باطل حتى لو أنفق هذا المال فى سبيل الله .

قال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحماً ، أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله ، جمع الله ذلك جميعاً ، ثم قذفه فى النار** » ، إذن إياك أن تتوهم أنك إذا تصدقت وفعلت الخيرات بهذا المال الذى قمت بجمعه على حساب حقوق كثيرا من عباد الله أن الله سوف يقبل منك ، أنت وهذا كله فى النار والعياذ بالله ،. ولن يقبل الله منك .

وقد روى أن ملكاً على بيت المقدس يُنادى كل يوم وليلة : « **من أكل حرام لن يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً** » ، وقيل أن الصرف هى النافلة ، والعدل المقصود بها الفريضة ، فإنك إن صليت وأديت فريضة الحج فلن يقبل الله عز وجل منك لأن مالك حرام .

قال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **من حج بمال حرام فقال : لبيك ، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك ، حجك مردود عليك** » .

فيا أصحاب الأعمال ، يا من تستحلون الحرام وتأخذون حقوق الناس بالباطل وتبخسون حقهم وجهدهم ، وبعد ذلك تذهبون إلى بيت الله الحرام ، لا لبيك لكم ، ولا سعديك لكم ، وحجكم مردودٌ عليكم ، وذلك جزاءً بما فعلتم وظلمتم .

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – : « **لا يقبل الله صلاة امرئ وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه** » .

إن الشيء المؤسف هنا أيضاً أننا نرى بعض هؤلاء الذين يأخذون حقوق الناس بالباطل يتحدثون بالدين ويرفعون شعار التقوى ولكنهم يقولون ما لا يفعلون » ، يقول عز وجل فى سورة الصف : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] .

وقال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيُلقى فى النار ، فتندلقُ أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا ، فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان ، مالك ، ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه** » .

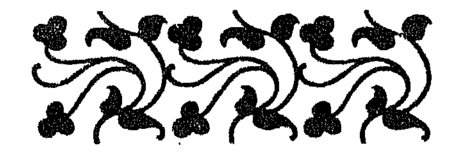
ومعنى تندلق : أى تخرج ، ومعنى الأقتاب : أى الأمعاء .

وروى عن إبراهيم ابن أدهم – رحمه الله – أنه استأجر دابة إلى عمان – فبينما هو يسير فى الطريق إذ سقط سوطه فنزل عن الدابة وربطها ، ورجع ماشياً على قدميه فأخذ السوط – فقيل له – لو تحولت رأس دابتك لأخذت السوط فقال : إنما استأجرتها لتذهب وتمضى ولم أستأجرها لترجع .

فيا من استأجرتم العباد للعمل فى مصالحكم اتقوا الله فيهم ، وأعطوهم حقهم ، ولا تبخسوا منه شيئاً ، ولا تحملوهم أكثر من طاقاتهم ، لأنه كان فيمن قبلكم أُناس يتقون الله فى الدواب ، فهؤلاء بشر مثلكم يشعرون كما تشعرون ويتألمون كما تتألمون فاتقوا الله فيهم .

قال رسول الله ﷺ : « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، الذين يعدلون فى حُكمهم وأهلهم وما ولُوا** » .

وفى الحديث أيضاً عن النبى ﷺ : « **أهل الجنة ثلاث ، ذو سلطان مُقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قُربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال** » .



المال وخدمة الإسلام

قال عز وجل فى سورة آل عمران : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢) ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

أيها الأحبة فى الله :

كنت أتمنى من كل الأغنياء والأثرياء فى شتى البلاد الإسلامية وخصوصاً البلاد التى تتمتع بثروات وخيرات كثيرة مثل دول الخليج أن يستيقظوا من هذا السُبات وهذه الغفلة التى دامت وقتاً طويلاً لأننا نسمع ونقرأ عنهم أشياء يندى لها الجبين وتقشعر منها الأبدان وتدمع لها الأعين .

نرى بعض الأمراء والأثرياء والذين يملكون المليارات من الأموال يلهثون وراء الشهوات والمتع وقضاء الليالى فى أحضان الساقطات والعاهرات والإنفاق على هؤلاد بالملايين .

ونرى بعض الأمراء والأثرياء يقضون وقتهم فى السفر من حين إلى آخر للنُزهة والترفيه بحثاً عن المزيد من المُتع وإرضاء الشهوات فى بلاد المعاصى والآثام ، ونرى بعضهم أيضاً ، وأصبح شغلهم الشاغل وهمهم الدائم هو السعى المستمر وراء الدرهم والدينار ، والريال والدولار ، وكيفية زيادة تلك الأرصدة التى سوف تكون وبالاً عليهم يوم القيامة ، وكثيراً ما نسمع عن إنفاق الملايين من أجل بناء القصور فى أفخر وأرقى الأماكن ، إن كل ما نراه من هؤلاء أيها الأحبة فى الله هو عبث وتبزير وإسراف ، وإهدار لمقدرات الأمة .

إننى أقول لكل هؤلاء اتقوا الله عز وجل ، وعلموا أنكم سوف تقفون بين يدى الله وسوف تُحاسبون عن هذا كله ، ولابد هنا من سؤال فى غاية الأهمية

، وهو ماذا قدم هؤلاء الأثرياء لدين الله عز وجل ؟!! .

قال المولى عز وجل فى سورة محمد : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⑦ ﴾ [محمد : ٧] .

فمن الممكن إذن فى بعض الأحوال أن ننصر دين الله عز وجل بالأموال ، كما أن الإنفاق من أجل خدمة الإسلام ، ومن أجل دعوة الله عز وجل له أوجه كثيرة .

ولكننى لا أريد أن أخوض فى مثل هذه التفاصيل ، ولكن سأتحدث عن أمر واحد ، وهى مأساة نعيشها جميعاً هذه الأيام ، وهو ما يحدث لإخواننا المسلمين فى فلسطين ، يقول قائل : وهل هناك دور أستطيع أن أقول به نحو إخواننا المسلمين الذين يعيشون مهددين بالقتل والتشريد صباح مساء ، هذا بخلاف تدنيس المقدسات وهدم الديار ، وانتهاك الحرمات على أيدى أحفاد القردة والخنازير .

إن مساندة إخوانك المسلمين واجب وتقديم الدعم من أجل مقاومة هذا المحتل الغاشم أمر فى غاية الأهمية ، فأنت المسئول إذن أمام الله عز وجل ، هل قدمت ما بإمكانك أم لا .

ومن أمثلة هذا الدعم تقديم جميع الاحتياجات الأساسية لإخواننا مثل : المأكل والمسكن ، والملبس والعلاج ، وما إلى ذلك من معونات ، أقسم لكم أيها الأحبة فى الله ، لو أن كل مائة ثرى من الأثرياء فى كل بلد إسلامى أنفق ما ينفقه على شهواته ورغباته لتغير الحال تماماً فى المسجد الأقصى ، لأن المال سلاح من الأسلحة التى يمكن عن طريقها البت فى هذا الصراع إذا تم استخدامه واستغلاله الاستغلال الأمثل .

ولابد من سؤال آخر : وهو إن لم يكن أغنياء وأثرياء وأمراء المسلمين هم الذين يتكفلون بقضايا الإسلام والمسلمين ودعم دعوة الله عز وجل ، فمن سيكون لها إذن ؟! .

إن لم تكونوا أنتم أيها الأمراء ، والأثرياء حُماة الإسلام ، فسوف يستبدل الله عز وجل لهذا الدين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم لا يكونوا أمثالكم .

قال ﷺ فى الحديث : « **لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل أتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أتاه الله مالاً فهو يُنفقه أناء الليل وآناء النهار** » .

واعلم يرحمك الله أنه ليس لك من هذه الدنيا إلا بيتٌ تسكنه وثوبٌ يستر عورتك ، ورغيف الخبز والماء ، وما سوى ذلك سخِّرهُ لخدمة الإسلام وكفالة جميع المسلمين ، وإدخال الفرح والسرور على قلوبهم .

قال ﷺ فى الحديث : « **ليس لابن أدم حق – فى سوى هذه الخصال – بيت يسكنه ، وثوبٌ يوارى عورته ، وجلفُ الخبز والماء** » .

ومعنى الجلف ، أى الخبز الذى ليس معه إدام .

وإليكم نموذج واحد من التاريخ كان له دوراً كبيراً فى نُصرة دين الله عز وجل ، هذا النموذج واحد من نماذج كثيرة بذلت النفس والمال فداءاً لدين الله عز وجل ، ونبيه محمد ﷺ ، إنه – ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه – الذى بشره النبى ﷺ بالجنة وهو أحد خلفاء المسلمين .

لقد نال هذه المرتبة العظيمة وهذا الشرف الكبير نتيجة ما بذل وقدم وضحى من أجل إعلاء راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، جاء وقت فى المدينة وكان لليهود السيطرة وتملك أسواق وزروع وثمار ومياه المدينة ، وفى هذا الوقت

انقطع المطر وقلت المياه ، فمن أهم خصال اليهود الغدر والكره والحقد للإسلام والمسلمين ، هذا عهدهم دائماً حتى قبل الإسلام .

وجد هؤلاء اليهود الذين لا يريدون عزاً ولا خيراً للإسلام والمسلمين ، أن هذه فرصة يمكن عن طريقها توجيه ضربة قوية للمسلمين وذلك بمنع الماء عنهم وإلحاق الضرر بهم ، لأن واحداً منهم يملك بئر مياه يسمى ، بئر رومه ، فأسرع المسلمين إلى النبى ﷺ ، ولما لا ؟! ، وأنه القائد ، والرسول ﷺ الرحمة المهداة للخلق أجمعين ، وأنه الصدر الحنون العطوف على كل المسلمين .

ذهبوا قائلين له : يا رسول الله قلة المياه وساء الحال ، فقام النبى ﷺ مبشراً الصحابة من يشترى بئر رومه وله الجنة ؟ ، فأسرع عثمان بن عفان رضي الله عنه وقام بشراء هذا البئر وجعله وقفاً للمسلمين يتصرفون فيه كما يحلو لهم .

وهنا قال النبى ﷺ : **« ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم »** ، فهنيئاً له ، بشرى النبى ﷺ .

كما قام رضي الله عنه بتجهيز وتحمل نفقات جزء كبير من جيش العُسرة فى غزوة تبوك ، من مأكل ومشرب وسلاح وعتاد .

فأين أثرياء هذا العصر من أبناء الإسلام من هذا النموذج المشرّف للإسلام ، وهو هو رضي الله عنه الذى اشترى قافلة مُحملة بالبضائع والأغذية وقام بتوزيعها على المسلمين بعد أن رفض عرضاً ببيعها بأضعاف أضعاف ثمنها ، قائلاً أن الله عز وجل قد أعطانى فيها أكثر وأكثر عشر أمثالها ، فأين أنتم يا مسلمون ؟! .



أين أنت من قارون ؟!!

قال المولى عز وجل فى سورة القصص : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) ﴾ [القصص : ٧٦ - ٨١] .

يا صاحب المال أين أنت من قارون ؟! ، إن ما لديك من أموال لا يمثل شيئاً فى مُلك قارون ، فلا داعى للتكبر والعناد حتى لا تندم وتهلك مثله ، واعلم يرحمك الله أن أى قصة جاءت فى القرآن ، إنما هى للعبرة والعظة والخروج منها بالدرس المستفاد وليست القصص التى تحدث القرآن عنها المقصود بها مصمصة الشفاة والتأثير الوقتى فقط .

واعلم أيضاً أنه عندما تحدث المولى عز وجل عن قصص بعض الصالحين فهذا توجيه لنا جميعاً لكى نسلك طريقهم وننهج نهجهم ونقتدى بهم ، وعندما تحدث المولى عز وجل عن قصص الطغاة والمتكبرين فهذا توجيه لنا أيضاً

لكى نحذر طريقهم ، ولا نكون أمثالهم .

إننى كنت أتمنى من الأغنياء أن يفهموا الحياة فهماً صحيحاً وينبغى أن يعلموا أيضاً أنهم خلق الله عز وجل مثلهم مثل باقى البشر .

ولابد أن يعلم هؤلاء أيضاً أنه ليس بالمال يُستعبد العباد ، وتُستزل وتخضع الأعناق والرؤوس .

ولكننا نعلم جميعاً أن الإنسان يأتى بالتواضع والبساطة فى التعامل معه والحب واللين والرفق ، فوجب الأمر على كل الأغنياء أن يطعموا الناس من طعامهم وأن يتمنوا لهم ما يتمنون لأنفسهم ، فإنهم إن فعلوا ذلك ظفروا بحبهم ودعائهم ونالوا أيضاً رضا ربهم عز وجل ، كما أننى أريد مزيد من الإحساس بالآخرين والشعور بلوعة المحرومين وقلة حيلتهم .

وكما تحدثت من قبل لابد وأن يكون لنا فى قارون العبرة والعظة إن قارون كان من قوم موسى وزاده الله سعة فى الرزق وكثرة فى الأموال ، كما أنه أخذ من الدنيا ما لم يأخذه أحد ، وكان ذو حظٍ عظيم .

وكما قيل أن خزائنه كانت ممتلأه ومكتظه بصناديق الأموال والكنوز والخيرات التى كانت بعد ذلك حسرات ونكبات عليه .

لدرجة أن الحراس كانوا لا يقدرون على حمل هذه الأموال والصناديق وكان قرون يعيش عيشة البزخ والترف والتنعم ، فكان لا يرتدى إلا أفخر الثياب ، ولا يأكل إلا أفضل الطعام ، وكان يسكن القصور ، واتخذ لنفسه خدماً وعبيداً ، ونال من هؤلاء أشد التنكيل والذل والاستعباد .

حتى أنه ظن أن أحداً لن يقدر عليه لأنه يملك الكثير والكثير ، وظن أن سلطانه وماله سيكونان له حصناً وسنداً ضد أى بلاء أو عذاب ، لدرجة أن

الشيطان سوّل له أن الناس كلهم مخلوقين من طينة وهو من طينة أخرى ، وأنهم عبيد خلقوا من أجله فقط ، والويل كل الويل لمن خالف أمره وعصاه .

لقد بغى واستعبد قومه حيناً من الدهر ، فعليه وعلى كل المتكبرين والظالمين لعنة الله .

وحين رأى الناس الكبر والبغى من قارون حاولوا أكثر من مرة أن ينصحوه لعله يرجع إلى الخير وأن يعطى المحتاج ويكون عوناً وسنداً له ، وأن يحسن إلى الناس كى يبارك الله عز وجل له فى ماله ويحفظ له النعم ، لأن الشكر يحفظ النعمة ، والكبر والبغى والطمع يزيلها ويفنيها .

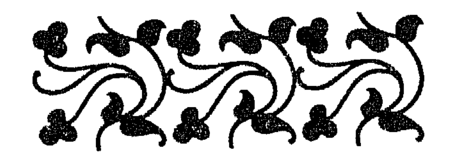
وكان الغرض الأساسى من هذا النُصح أن يحفظ الله عليه نعمته وأن يدخله جنته ولكن التكبر والعناد هما سمة كل طاغية ومتكبر .

ويكون هناك رداً واحداً لكل متكبر عنيد وهو من أنت يا من تتطاول عليّ وتقوم بنصحى .

وكان رد قارون على هؤلاء أننى أرجحكم عقلاً ، وأفضلكم وأننى قد أوتيت هذاالمال لأننى أعلمكم وأحق منكم به وأنا خير منكم ، وبدأ بعد هذا الصد والعنا والخروج على قومه بأجمل الثياب مع خدمه وحشمه وقد أُعدّت له الركائب أحسن إعداد وتجهيز والناس من حوله يعانون من الفقر والبؤس وضيق العيش ، فقرر سيدنا موسى عليه السلام أن يواجه هذا الطاغية قائلاً له : لابد أن تؤدى زكاة مالك ، وأن فى هذا المال حق معلوم للسائل والمحروم ، فاستهزأ قارون من هذا الكلام وسخر منه .

ولما حاول أن يفتن الناس وأن يبعدهم عن موسى ويضعف عقيدتهم دعا عليه سيدنا موسى أن ينزل الله عليه عذابه ، وأن يجعله عبره لغيره ، وذلك بعد

محاولات كثيرة لإصلاحه ولكن دون جدوى ، فاستجاب الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام وخسف به وبداره الأرض ، فأين الأموال والكنوز والقصور والخدم والحشم ؟! ، كل هذا أصبح فى باطن الأرض ، فكان عبرة لكل متكبر - عبرة لكل ظالم - عبرة لكل شحيح عنيد ، عبرة لكل من بخس حقوق الناس وتطاول عليهم .



وقفة قبل فوات العمر

كثيراً ما نسمع أن إنسان قد بلغ من العمر خمسين أو ستين عام ونراه يقول : أن السنين تمر سريعاً كالبرق الخاطف ، وأن العمر قد نُزع منه البركة ، والسبب وراء عدم البركة فى العمر يرجع إلى كثرة الذنوب والخطايا .

ولابد هنا من وقفة ... وهى مقارنة بين إنسان قد بلغ من العمر ستين سنة ولكنه كان يؤدى فرائض الله عز وجل ولم يُفتن لا بالدنيا ولا بالمال ، وبين إنسان آخر قد بلغ نفس العمر ولكنه كان يُفرط فى فرائض الله عز وجل وشغل نفسه بالدنيا والمال ، وترك نفسه للشهوات ، وكان عبداً لها ، لو نظرت إلى الفارق بين الاثنين لوجدت أنه شتان بين هذا وذاك الأول قد بارك الله له فى عمره ، وقنع بعطية الله عز وجل فهو خير الناس لحديث النبى ﷺ : « خير الناس من طال عمره ، وحُسن عمله » .

أما الثانى فقد نزع الله البركة من عمره لأنه اتبع الشهوات ولم يقنع بقسمة الله عز وجل ، فالعمر إذن سوف يمر على هذا وذاك ، وسوف يموت هذا وذاك ، فأين من كانوا قبلنا وأين من كانوا قبلهم ؟! .

ماتوا جميعاً ، من أحسن منهم وعمل صالحاً فلة الجنة خالداً فيها ، ومن أساء منهم واتبع هواه فله عذاب جهنم خالداً فيها .

أقول هنا أيضاً : أن العمر يمر سريعاً ، وأن الشهوات والملذات سريعاً ما تنقضى وتفنى ، وأن ما عند الله عز وجل خيراً وأبقى .

وليكن لنا موقف ثابت من الدنيا وليس هناك أفضل من موقف النبى ﷺ منها قال : « **مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة**

ثم راح وتركها » ، فلا تفرح وتسعد ، إذا بلغت من العمر الكثير ، لأن هذا إنذار لك ، قال ﷺ في الحديث : « **أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة** » ، والعمر أيضاً يمرُ على المحسن والمُسيء على السواء .

فلماذا لا يمر علينا إلا وقد أدينا الحقوق والواجبات لله عز وجل ، وبما أن الموضوع عن المال والغنى ، أريد أن أوضح أمر فى غاية الأهمية ، وهو أن الغنى الحقيقى هو غنى النفس ، وأن الإنسان القانع بقسمه الله عز وجل هو أغنى الناس وأسعدهم ، وأن شر الناس من أعطاه الله مالاً ورزقاً كثيراً ، ولكنه المتطلع دائماً إلى المزيد والمزيد وقد امتلأ قلبه بالجشع والطمع .

قال رسول الله ﷺ فى الحديث : « **ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس** » ، ومعنى العرض : المال .

وأيضاً كما يزول المال تزول الشهوات والملذات والمتع وسيأتى يوماً وتفنى وتزول أنت ومن فى الأرض جميعاً ، وصدق الله عز وجل القائل فى سورة الرحمن : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)** ﴾ [الرحمن : ٢٦ - ٢٧] .

أيها الأحبة فى الله :

لابد من وقفة مع النفس، ولابد أيضاً من هذا السؤال : من أنا ، وماذا أُريد؟ .

أنت عبد لله عز وجل ، وليس لك الحق فى التصرف حسب هواك ، لأن هناك حدود وضوابط حددها المولى جل وعلا ، ولابد أن يكون هدفك فى الحياة طاعة الله عز وجل ، التى تؤدى بك إلى أسمى غاية لكل مؤمن ، وهى جنة عرضها كعرض السموات والأرض .

واعلم يرحمك الله : أنه لو كان المال هو غايتك وهدفك فى الحياة فانتظر

سخطاً وعذاباً من المولى عز وجل .

ولابد أيضاً أن يأخذ أصحاب الأموال العبرة والعظة من الذين كانوا قبلهم ، والذين أساءوا استخدام المال لذلك كان نقمةً ووبالاً عليهم .

واعلم أيضاً أنه لو دامت الدنيا والأموال لهؤلاء ما وصلت إليك ، وإننى أتحدى أصحاب الملايين ، هل يستطيع الواحد منهم أن يدفع عن نفسه البلاء والأذى بتلك الأموال .

وهل يستطيع أن يقول لملك الموت حين يأتيه كى يقبض روحه أخرنى قليلاً .

وهل يستطيع أن يفعل الذنوب والمعاصى فى مكان لا يراه الله فيه .

وهل يستطيع أن يأكل من رزق غير رزق الله .

وهل يستطيع أن يعيش على أرض غير أرض الله .

الإجابة : لا يستطيع ولا يقدر ، لأن الله عز وجل يقول فى سورة القمر : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ [القمر : ٤٩] .

لايستطيع ولا يقدر لأن الله عز وجل يقول فى سورة المنافقون ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ [المنافقون : ١١] .

لا يستطيع ولا يقدر لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

لا يستطيع ولا يقدر لأن الله عز وجل يعلم ما ى الصدور والأنفس ، ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء .

لا يستطيع ولا يقدر لأن الأرض كلها ملكٌ لله عز وجل ، فهل من وقفة لتأديب النفس والرجوع لخالقها عز وجل ؟! .

إن الجنة تبغي ثمناً

إن لكل منفعة ثمن ...

إذا نظرت يرحمك الله إلى بعض الأمور الدُنيوية ، لوجدت أن لكل منفعة لابد لها من ثمن ومقابل ، فمثلاً: لكى نأكل ونتغذى لابد من ثمن ومقابل ، لكى نسكن لابد من ثمن ومقابل ، لكى نتزوج لابد من ثمن ومقابل .

إذن لكل منفعة يُنتفع بها ، لابد وأن يكون لها ثمن ومقابل ، فأنت إذن تدفع الثمن والمقابل فى الأمور الدنيوية والتى سوف يكون مصيرها إلى الزوال والفناء والعدم .

فهل فكرت يوماً ... أن جنة الله عز وجل تبغي ثمناً وهى الباقية والخالدة ، قال عز وجل فى سورة الكهف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٨) ﴾ [الكهف : ١٠٧ - ١٠٨] .

فأيهما أجدر إذن ؟! ، أن تدفع الثمن فى شيء باقٍ وخالد أم شيء زائل وفان ، فالجنة إذن لابد لها من ثمن ، لأنه ليس هناك ذرة مقارنة بين متع الدنيا ومتع الآخرة .

قال المولى عز وجل فى سورة التوبة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة : ١١١] .

وهنا جعل الله عز وجل ثمناً للجنة وهو التضحية بالنفس والمال ، إذن لابد

وأن يرخص كل غالٍ وكل ثمين من أجل الجنة ، فيا كل الأغنياء ، ويا كل الأثرياء ، تهون الأموال وتهون المتع والشهوات والملذات من أجل جنة عرضها كعرض السموات والأرض ، أعدها الله عز وجل لعبادة المتقين .

ويكفينا فخراً يا أحبة أن النبى ﷺ قال عنها : « **فيها ما لا عين رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر** » ، كما أن كنوز وملايين الدنيا لا تعدل غمسه واحدة من الجنة ، قال ﷺ فى الحديث : « **يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيُصبغ فى النار صبغة ، ثم يقال : يابن أدم هل رأيت خير قط ، هل مربك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة ، فيُصبغ صبغة فى الجنة ، فيقال له : يابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ ، هل مر بك شدة قط ؟ ، فيقول : لا والله ، ما مر بى بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط** » .

أيها الأحبة فى الله :

من أجل الجنة تهون الملايين والشهوات والملذات ويهون كل شيء ، ومن أجل الجنة يرخص كل شيء ، ترخص النفس ، وترخص الأموال ، ترخص الحياة ، تهون الحياة وكلّ يهون ، **لكن جنة الله لا تهون** .

واليكم أيها الأحبة فى الله بعض أوصاف الجنة التى فيها ما تلذ منه الأعين ، وتسعد منه الأنفس :

[١] قال رسول الله ﷺ : « **إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » .

[٢] قال رسول الله ﷺ : « **الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج** » .

[٣] وقال رسول الله ﷺ : « **إن في الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد** » .

[٤] وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : « **يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، ولا يبولون ، طعامهم ذلك جُشاء كريح المسك ، يُلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس** » .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً** » .

كما جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم : تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : « **نعم ، والذي نفسي محمد بيده ، إن أحدهم ليُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، قال فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كشرح المسك فيضمر بطنه** » .

فهذا جزء بسيط من نعم وملذات كثيرة أعدها الله عز وجل لعباده المتقين الذين تركوا الدنيا ولم يُفتنوا بها وعلموا أن السلامة فيها ترك ما فيها ، واتخذوا هذه الأموال سبباً وقارب نجاة يوصلهم إلى جنة الله عز وجل .

الآن بقي سؤال وهو : هل هناك شيء أغلى وأسمى من الجنة ؟!! .

الخاتمة :

أيها الأحبة فى الله :

إن الذى دفعنى إلى كتابة هذا الكتاب هو ما رأيته من صد وعناد ولا مبالاة لدى كثير من الأغنياء وغفلة هؤلاء عن واجبهم نحو الإسلام والمسلمين ، فلو أن كل غنى علم هذا الواجب وأدى ما عليه من حقوق وواجبات لأصبح هذا المجتمع مجتمعاً متكافلاً متقدماً لأن أساسه الحب والإيثار والشعور بعامة الناس و التضحية من أجلهم .

كما أن طمع وجشع الأغنياء والأثرياء وحرصهم الشديد هو سبب كل بليه وسبب مباشر فى تخلف الأمم والجماعات ، لأن مثل هذه المجتمعات مفككه غير مترابطة ، لأن كل واحد منهم راح يفكر فى نفسه ولا غير إلا نفسه .

كما أننى في الختام أود أن أوجه سؤال لكل هؤلاء : لو قيل لأحد الأثرياء أنه سيموت غداً أو بعد شهر أو بعد سنة مثلاً ، وهو الذى يملك الكثير والكثير من الأموال - بالطبع - أيها الأحبة فى الله سوف يتغير الوضع تماماً لأننا سوف نرى هذا الغنى يسارع فى البحث عن طرق الخير لإنفاق هذا المال قبل أن يلقى ربه عز وجل ، وسوف نرى منه أيضاً التوبة والندم على ما فات ، وكيف أنه أصبح شخصاً آخر غير هذا الشخص الذى كان يتعامل مع الناس بالشح والطمع والتضييق على عباد الله ويبخس حقهم من أجل تحقيق طموحاته وأحلامه وتوسعاته .

إذن من أهم الأسباب التى أدت إلى سوء استخدام الأغنياء للأموال طول

الأمل والغفلة عن الموت .

فنحن إذن حددنا المرض – أما بالنسبة للعلاج فهو معروف – وهو الزهد في الدنيا وتربية النفس وكسر شهوتها ومخالفة هواها وكذلك الاستعداد للموت والوقوف بين يديّ الله عز وجل ، لأن الموت يا أحبة – يأتي بغتة – فإذا أمسيت فلا ينبغي عليك أن تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، واحترس من المال لأنه سوف يأتي شاهداً عليك يوم القيامة ، فأدي كل ذي حقٍ حقه ولا تتكبر وتطغى على خلق الله .

وتذكرت وأنا أكتب إليكم هذه الكلمات موقف واحد من مواقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، هذا الموقف أتمنى أن يتذكره كل غنيّ لأنه مسئول عن فئة من المسلمين بحكم ما لديه من الأموال ، وأتمنى أن يتذكره كل مسئول في أي موقع لأنهم مسئولون عن قطاع كبير عن عامة الناس ، كما أتمنى أن يتذكره جميع أصحاب الأعمال المسئولين عن العاملين معهم .

والموقف باختصار أيها الأحبة في الله :

أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يتفقد رعيته ليلاً لفت نظره خيمة بها صغار يبكون ، وإذا به يقترب رضي الله عنه من هذه الخيمة ويسأل أم الأطفال عن سبب بكائهم فأجابت المرأة أنهم يبكون من الجوع وهي لا تعلم أن الذي يكلمها هو خليفة المسلمين ، وإذا بها تصرُخ وتصيح في وجه عمر وتقول له : الله بيننا وبينك يا عمر ، وهي لا تعرف أن الذي أمامها هو أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

فينظر إليها عمر قائلاً : وما يدري عمر بحالكم يرحمك الله ، فتقول هذه

المرأة المؤمنة : سبحان الله ، أيتولى أمرنا ويغفل عن حالنا .

وعندما يسمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الكلمات التى هى أقوى من الرصاص فى الأبدان ، يجرى مسرعاً إلى بيت المال ويحمل على كتفه الطعام والدقيق والزيت ، ويرفض أن يحمل أحداً من الحرس عنه شيئاً – قائلاً لهم – دعونى ، إن أحداً لن يحمل عنى ذنوبى يوم القيامة ، دعونى أحمل الأن فوق رأسى ، ويدخل الخيمة ويُعد الطعام بنفسه ثم يُطعم الأولاد .

فتنظر المرأة إليه ، وتقول : جزاك الله خيراً ، والله إنك أحق بالخلافة من أمير المؤمنين عمر ، وهى ما زالت لا تعلم أن الذى أمهامها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

من هذا الموقف نخرج بهذه الدروس :

١ – أن أى إنسان وكِّل إليه مسئولية فئة من الناس حتى ولو فرد واحد سوف يسأل عنه يوم القيامة « وخصوصاً أصحاب الشركات ورؤوس الأموال » .

٢ – تفقد أحوال هؤلاء الناس والعمل على حل مشاكلهم دون أى أغراض شخصية .

٣ – عدم الكبر والصد والعناد حين سماع أو توجيه الارشاد واللوم .

٤ – التواضع وتقديم يد العون ومسح دمعة المحتاج .

٥ – الخوف من المولى جلا وعلا .

وفى الختام :

أدعو الله عز وجل أن يستعملنا ولا يستبدلنا وأن يجعلنا عوناً وسنداً للإسلام والمسلمين ، وأن يجمعنا على الخير دائماً .

كما أدعوه جل وعلا أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وذهاب همومنا وأحزاننا وأن يغفر لنا الذنوب ويستر منا العيوب ، ويرقق لنا القلوب ، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وأن يخرجنا منها على خير .

كما أدعوه عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه ، وأن ينفع به كل من قرأه ، إنه على ما يشاء قدير .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

أ / السيد محمد

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الإثنين ١١ ذو القعدة ١٤٢١ هـ

٥ فبراير ٢٠٠١ م .



الفهرس



من مؤلفات الأستاذ / السيد محمد

يا ليتك عام يا رمضان

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩، ٥٤٤٦٤٩٦


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صدر حديثاً من مطبوعات دار الإيمان

الكتاب	المؤلف
صناعة الحياة	سلمان العودة
القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة	عبد الرحمن عبد الخالق
هموم فتاة ملتزمة	سلمان العودة
حتى لا تغرق السفينة	سلمان العودة
الفتور (المظاهر - الأسباب - العلاج)	ناصر بن سليمان العمر
البث المباشر حقائق وأرقام	ناصر بن سليمان العمر
حقيقة الانتصار	ناصر بن سليمان العمر
فقه الواقع	ناصر بن سليمان العمر
امتحان القلوب	ناصر بن سليمان العمر
الحكمة	ناصر بن سليمان العمر
ادفعي زوجك إلى النجاح	عادل فتحي عبد الله
كيف تفكر بطريقة علمية	عادل فتحي عبد الله
محرمات استهانت بها النساء	عادل فتحي عبد الله
فقه الخلاف (قضية الخلاف بين حملة الشريعة)	مجدي قاسم
توجيهات ووصايا للمرأة المسلمة	محمد حامد محمد

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦



من أحدث مطبوعات دار الإيمان





أغنياء... ولكن





فى هذا الكتاب

- يا غني "لا تغتر.
- الإيثار والشعور بالفقراء.
- احترس من المال.
- فوائد المال.
- إياك والبخل.
- إياك والطمع وعليك بالقناعة.
- ذم الشبع.
- حلال بركة وإياك والحرام.
- حترس من الربا.
- لكرم والسخاء.
- احترس من البطانة السوء.
- احترس من فتنة وبريق الكرسى.
- يا صاحب المال إياك والظلم.
- الدين المعاملة.
- المال وخدمة الإسلام.
- أين أنت من قارون.
- وقفة قبل فوات العمر.



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦